الانحرافات المشتركة بين الخوارج الأوائل وخوارج العصر

دراسة وصفية تحليليّة

د. فؤاد أحمد عطاء الله

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة

قسنطينة (الجزائر)

مقدّمـــة:

الحمد لله وحده، والصّلاة والسّلام على من لا نبيّ بعده، وبعد:

إن فتنة الخوارج من أعظم الفتن التي ابتليت بها الأمّة الإسلامية منذ زمن الصحابة -رضي الله عنهم- وإلى يوم الناس هذا، ولا يكاد يمرّ زمان إلا وأطلّت هذه الفتنة على أمة محمد ﷺ بشرورها، ومساوئها.

وقد ظهرت في زماننا هذا فرق وجماعات وأحزاب وتنظيمات انتحلت مذهب الخوارج الأوائل، وسارت على مسالكهم المردية؛ ففارقت جماعة المسلمين، وفرّقتها، وتديّنت بالخروج على ولاة أمور المسلمين وشقّ عصا الطّاعة، وخلعت البيعة من الحكّام، وبايعت أمراءها ومرشديها كبيعة المسلمين لولّاة أمورهم، وقوّضت أصل الولاية العامّة في الإسلام، وأحدثت بدعة الحزبيّة، التي هي أسوأ بدعة ابتلي بها المسلمون في العقود المتأخِّرة، وحرّفت أصل الولاء والبراء؛ وغير ذلك من الضّلالات والانحرافات التي ركبتها هذه الفرق والجماعات والأحزاب.

وإن المتأمّل في السّبب الحقيقي لسلوك تلك الجماعات والأحزاب مسالك الخوارج؛ يجد أنه يرجع إلى وجود خلل في منهج الاستدلال وفهم النّصوص الشرعية عندهم، مردّه في حقيقة الأمر إلى مخالفة علماء الشّريعة الراسخين، والبعد عن مشاورتهم والرجوع إليهم، فشحنت أذهان الشباب المسلم بعشرات الشبهات، تؤزّهم أزّا إلى انتحال ضلالات الخوارج والجماعات والأحزاب الزّائغة والمنحرفة عن الكتاب والسنة.

لذلك كان من الواجب الشّرعي المحتّم الإسهام في تحصين الشباب المسلم من الأفكار الفاسدة، والشبهات الكاسدة، التي يُرادُ منها إحياء بدع الخوارج باسم الغيرة على الدين، ونصرة الإسلام، وإقامة الخلافة الإسلاميّة، ونحو ذلك من الشّعارات البرّاقة والزائفة.

وقد اهتبلت فرصة انعقاد هذا المؤتمر الدولي المبارك: مؤتمر واجب الجامعات السّعوديّة وأثرها في حماية الشّباب من الجماعات والأحزاب والانحراف.

والذي تنظّمه – مأجورة مشكورة- جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة في

الرّياض بالمملكة العربيّة السّعوديّة، وليس ذلك بغريب على جامعة الإمام ولا على القيادة السّعوديّة الحكيمة، فإسهامات وجهود هذه الدولة السّلفيّة المباركة في الدّفاع عن الإسلام، ومحاربة الغلوّ والتطرّف والإرهاب، والعمل على التوعية الفكرية للشباب المسلم من خطر الجماعات والأحزاب والانحراف الفكري مشهورة مذكورة، لا يجحدها إلا أعمى البصر والبصيرة.

فرأيت كتابة هذا البحث بعنوان: الانحرافات المشتركة بين الخوارج الأوائل وخوارج العصر.. دراسة وصفيّة تحليليّة.

والمراد بالخوارج قديما هم الخوارج الأوائل الذين كفروا الصحابة وخرجوا عليهم وقاتلوهم، وهم الذين ظهروا في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأبادهم المهاجرون والأنصار في موقعة النّهروان.

والمراد بالخوارج حديثا هي الجماعات والأحزاب والفرق والتنظيمات الضالّة والمنحرفة التي ظهرت في القرن الماضي بعد سقوط الدولة العثمانيّة، والتي تبنّت في أغلبها التفسير السياسي للإسلام، وهو تفسير فاسد منحرف مخالف للكتاب والسنة وهدي سلف الأمة.

أهداف البحث:

إن للحديث عن خطر خوارج العصر من الجماعات والأحزاب والتنظيمات أهمّية كبيرة، ويتطلّع هذا البحث لتحقيق جملة من الأهداف يمكن توضيحها من خلال النقاط الآتية:

- تقديم معالجة فكريّة لقضيّة خوارج العصر من الفرق والجماعات الحزبيّة من خلال كشف انحرافهم على الجادّة، وبيان خطرهم العظيم على المجتمعات المسلمة المعاصرة، وإثبات ضلالها وانحرافها، ومخالفتها لتعاليم الإسلام، ومصادمتها لنصوص الكتاب والسّنة، ومنهج الصّحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان، وكذا معارضتها لفتاوى علماء الأمة المعاصرين.

ولا شكّ أن المعالجة الفكرية للخوارج وضلالاتهم مطلب شرعي ومسلك نبوي، فقد حذّر النّبي ﷺ من الخوارج أشدّ من التحذير من الدّجّال، وفي خلافة أمير

المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ناظرهم عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما، وبالجملة فالصّحابة رضي الله عنهم لم يتساهلوا مع خطر الخوارج؛ بل ناظروهم ونصحوهم وقاتلوهم، واستأصلوهم، ولذا فإنه يجب الحذر من التساهل في مواجهة شرّ الخوارج ومخطّطاتهم، فإن الأمر كما قيل: من ترك القليل حتى يكثر، والصغير حتى يكبر، والخفيّ حتى يظهر، وأخّر فعل اليوم لغد؛ حلّ به شرّ الخوارج وأكثر.

- رصد أهمّ الانحرافات الفكريّة والسلوكية المشتركة بين الخوارج الأوائل وخوارج العصر من أرباب الجماعات والأحزاب، ووضعها بين أيدي الشباب المسلم المعاصر بهدف توعيته وإرشاده إلى أن الجماعات والأحزاب والفرق المعاصرة ما هي في حقيقتها إلا امتداد للخوارج الأوائل.
- تحصين أبناء المسلمين من الشبهات المضِلّة التي يتّكئ عليها أرباب الجماعات والأحزاب تحت شعارات برّاقة زائفة، وما أكثرها –لا كثّرها الله–.
- التحذير من سوء عاقبة الانجراف وراء هذه الجماعات والأحزاب والتنظيمات، وتبصير المسلمين بأنّ هؤلاء ليسوا أحسن حالا من الخوارج المتقدّمين الذين حذّر منهم النبيّ ﷺ.
- تفنيد الشبهات المثارة حول الإسلام، وإبطال الدّعايات المغرضة ضدّه، والتي مفادها اتهامه بالعنف والشدّة والتطرّف والإرهاب، بسبب ما يقترفه أرباب الأحزاب والجماعات من تكفير واستباحة للدماء وتدمير وتفجير.
- تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة عن الإسلام عند كثير من المسلمين وغير المسلمين، وإثبات براءته من أفكار خوارج العصر وأعمالهم الإجرامية.
- يبيّن هذا البحث أسباب جنوح شريحة من الشّباب المسلم إلى اعتناق هذا الفكر الخارجي المتطرّف، ويقترح جملة من الحلول الشرعية لمعالجة هذه الظّواهر الخطيرة.

مشكلة البحث:

ظهرت هذه الجماعات والأحزاب والتنظيمات في القرن الماضي في فترة سقوط الدّولة العثمانيّة، ولم يتفطّن عامة المسلمين لحقيقتها في البداية، لأنها كانت تتظاهر بالعمل على تحقيق مقاصد حسنة كمحاربة الاستعمار، ودعم الجهاد في فلسطين، ونشر الدّعوة

الإسلاميّة ونحو ذلك؛ إلا أنّها سرعان ما كشّرت عن أنيابها، وأفصحت عن مخطّطاتها الخبيثة الماكرة، وبدأت الشّرارة الأولى لركوبها ضلالات الخوارج وسلوكها مسالكهم الزائغة بالتفسير السّياسي للإسلام، وأوّل من تولّى كبر التنظير لهذا الإفك المبين في العصر الحديث أبو الأعلى المودودي وسيّد قطب.

ويمكن تلخيص عبارة التفسير السياسي للإسلام بأنّه جَعْلُ الخصومة بين الرسل عليهم السلام وبين أقوامهم المشركين خصومة سياسية من أجل الحكم والسلطة والتشريع، وهو ما يطلقون عليه توحيد الحاكميّة، ولذلك فسّر المودودي الألوهية بالسلطة، وفسّر لا إله إلا الله بمعنى: لا سلطة ولا حاكمية إلا لله[1]، إلى آخر ذلك من التخبّطات والضّلالات التي ليس هذا موضع نقضها ومناقشتها[2].

وبناء على التفسير السياسي المنحرف للإسلام زعم أبو الأعلى المودودي أن جميع حكّام الأرض كَفَرَة وطواغيت، ودعا إلى الثورة والانقلاب عليهم وإسقاطهم من أجل إقامة الدولة الإسلامية العادلة القائمة على حاكميّة الله تبارك وتعالى بزعمه[3]، ثمّ جاء سيّد قطب الذي تأثّر بفلسفة الحاكميّة عند أبي الأعلى المودودي وتحمّس لها وغلا فيها غلوّا عجيبا، ففسّر الألوهيّة بالحاكمية، واعتبرها مرادفة للألوهية، وبناء على ذلك، وصف جميع الدّول والمجتمعات والشّعوب المسلمة المعاصرة اليوم بالجاهلية، وحكم بردّتها، وكُفرها، وشركها، لأنها لا تعمل بتوحيد الحاكميّة في نظره، ولا يشفع لها عنده أنها تنطق بلا إله إلا الله، ولا أنها تأتي بالشرائع التعبّدية[4].

ولذلك صارت هذه الجماعات والأحزاب تسعى للعمل على إقامة الدولة الإسلامية العادلة القائمة على الحاكمية بزعمهم، ولا يقوم ذلك ولا يكون -في نظرهم- إلا على

(١) "المصطلحات الأربعة في القرآن" لأبي الأعلى المودودي: (ص:٤٣).

(٢) قمت بمناقشة هذه الأفكار المنحرفة ونقضها وتفنيدها في بحث علمي محكّم بعنوان: (شبهات تكفير المجتمعات المسلمة المعاصرة -عرض ونقض-)، وهو معدّ للنّشر في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبيّ، الإمارات العربيّة المتّحدة.

(٣) "المصطلحات الأربعة في القرآن" لأبي الأعلى المودودي: (ص:٤٣).

(٤) "في ظلال القرآن" لسيّد قطب: (٤/ ٢٠٠٩).

أنقاض الدّول المعاصرة بعد إسقاطها والانقلاب عليها، ولمّا علموا أن ذلك لا يتأتّى لهم بيسر وسهولة، أمروا أتباعهم بخلع البيعة لولاّة الأمور على اعتبار أنهم طواغيت، وأسّسوا الجماعات، وأمّروا عليهم أمراء منهم، وعقدوا لهم البيعة على إقامة دولة الإسلام المنشودة، لأنه لا وجود لدولة الإسلام بزعمهم، وكفّروا المجتمعات الإسلامية حكّاما ومحكومين، واعتبروا ديارهم ديار كفر؛ بل ديار حرب، ونفّذوا الاغتيالات وخطّطوا للانقلابات والثورات، وتآمروا حتى مع الكفار على المسلمين ودولهم وأقطارهم، كل ذلك من أجل إقامة الدولة الإسلامية القائمة على الحاكمية كما يزعمون.

وعندما أظهرت هذه الجماعات والأحزاب الضّالة عقائدها الزائغة وأعمالها الإجراميّة الغادرة؛ قال العلماء كلمتهم؛ ولم يتأخّروا في الحكم عليها بأنّها تسير على مسالك الخوارج الأوائل في تعاملها مع المسلمين وولاة أمورهم وديارهم.

وكان من أوائل العلماء الذين صدعوا بذلك في العصر الحديث الشيخ العلامة أحمد شاكر رحمه الله، الذي أصدر بيانا مدويّا على خلفيّة اغتيال التنظيم السرّي الخاصّ لجماعة الإخوان المسلمين لرئيس وزراء مصر محمود النّقراشي باشا رحمه الله في سنة ١٩٤٨م، ونصّ فيه على أنّ منفّذي ذلك الاغتيال من الخوارج المجرمين، وأنهم خوارج كالخوارج القدماء الذين قتلوا الصحابة رضي الله عنهم، فقال فيه ما نصّه: "ولعلّ الله يهدي بعض هؤلاء الخوارج المجرمين، فيرجعوا إلى دينهم قبل أن لا يكون سبيل إلى الرّجوع...هم الخوارج كالخوارج القدماء الذين كانوا يقتلون أصحاب رسول الله ﷺ...وإنّما الإثم والخزي على هؤلاء الخوارج القتلة مستحلّي الدّماء، وعلى من يدافع عنهم..."[1].

ثمّ تتابع العلماء بعد ذلك يعتبرون هذه الجماعات والأحزاب المنحرفة امتداد طبيعيّا ووراثة حقيقية للخوارج الأوائل، ولذلك لمّا سئل الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله عن أسامة بن لادن زعيم عصابة القاعدة قال عنه: "أسامة بن لادن من المفسدين في الأرض، ويتحرّى طرق الشّر الفاسدة، وخرج عن طاعة وليّ الأمر"[2]، وعندما نفّذ خوارج العصر أوّل تفجير في المملكة العربيّة السّعودية –حرسها الله–، وهو الذي وقع في حي العُليّا سنة

(١) "جمهرة مقالات العلّامة أحمد شاكر رحمه الله": (١/ ٤٧٢).

(٢) جريدة الشرق الأوسط، العدد الصادر بتاريخ: ٩ جمادى الأولى ١٤١٧ه.

١٩٩٥م؛ علّق الشيخ محمّد بن صالح العثيمين رحمه الله على ذلك بقوله: "اليوم يقتلون أهل الذّمّة، وغدا يقتلون أهل القبلة"، وهي إشارة منه إلى حديث النّبيّ ﷺ في وصف الخوارج: (يقتلون أهل الإسلام، ويتركون أهل الأوثان)(١).

ومع ذلك كلّه فلا يزال اليوم من يتحرّج من التصريح بهذا الحكم، ويتساءل عن الانحرافات المشتركة بين هذه الجماعات والأحزاب المعاصرة وبين الخوارج الأوائل، والتي دفعت العلماء الموثوقين للحكم عليها بأنها امتداد للفرق التي انشقّت عن جماعة المسلمين في عصر الخلافة الرّاشدة وما بعده.

وهذا البحث الذي أنجزته للمشاركة في هذا المؤتمر الدوليّ المبارك ما هو إلا محاولة متواضعة للإجابة عن هذا الإشكال، فقد قمت برصد الانحرافات المشتركة التي ورثتها الجماعات والأحزاب المعاصرة من فرق الخوارج الأوائل، فأسأل الله تعالى التوفيق والسّداد، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة لقضيّة خوارج العصر ما يأتي:

- كتاب (القصة الكاملة لخوارج عصرنا) للشيخ الدكتور إبراهيم بن صالح المحيميد حفظه الله تعالى، وهو كتاب رائع ماتع، ناقش فيه شبهات التطرّف والتكفير، وذكر بعض صفاتهم؛ إلا أنّه اعتمد أسلوبا يغلب عليه الإجمال والعرض السّريع للمسائل، ولعلّ ذلك يرجع إلى طبيعة الكتاب الذي أراد فيه مخاطبة العامّة من المسلمين لا المتخصّصين في دراسة عقائد الفرق والملل المنحرفة عن الكتاب والسنّة، وأعتقد أنّ كل جزئيّة من الجزئيّات التي تعرّض لها في كتابه تصلح أن تكون بحثا علميّا مستقلّا.
- كتاب (فكر التكفير قديما وحديثا وتبرئة أتباع مذهب السلف من الفكر المنحرف)، للشيخ الدكتور عبد السلام بن سالم السحيمي، وهو أيضا كتاب نافع ومفيد؛ ولعلّ من أبرز ميزاته أنّه قدّم دراسة تاريخيّة لنشأة وتطوّر شبهات التكفير في العصر الحديث

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: ٦٤- كتاب المغازي، باب بعث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وخالد بن الوليد رضي الله عنه قبل حجّة الوداع، رقم: (٤٣٥١)؛ والإمام مسلم في صحيحه: ١٢- كتاب الزكاة، ٤٧- باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم: (١٠٦٤).

منذ زمن أبي الأعلى المودودي وبعده سيّد قطب إلى أن وصل إلينا في أقبح تجلّياته من خلال عصابة القاعدة وعصابة داعش الإجراميّة؛ غير أنّه لم يركّز كثيرا على الانحرافات المشتركة بين الخوارج وبين الأحزاب والجماعات المعاصرة، وإنما ذكرها عرضا لا غرضا.

- بحث بعنوان: (شبهات تكفير المجتمعات المسلمة –عرض ونقض–) من تأليفي، وهو بحث أكاديميّ محكّم للنّشر في مجلّة كليّة الدّراسات الإسلاميّة والعربيّة بدبيّ في الإمارات العربيّة المتّحدة، وهو بحث يهدف إلى نقض وتفنيد شبهات خوارج العصر، وقد استعرضت فيه بعض الشبهات والمغالطات الفكرية المشتركة بين الخوارج الأوائل وخوارج العصر.
- بحث بعنوان: (مناظرة عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما للخوارج...عبرٌ وعظاتٌ) من تأليفي، وهو بحث منشور في مجلة الإصلاح، الصّادرة عن دار الفضيلة للنّشر والتّوزيع في الجزائر، العدد: الثاني والخمسون، صفر ١٤٣٨ه، وهو بحث تحدّثت فيه عن المعالجة والتوعية الفكرية التي مارسها الصحابة رضي الله عنهم مع الخوارج، واستعرضت جملة من الانحرافات المشتركة بين خوارج العصر والخوارج الأوائل.

وأعتقد أنّ أهمّ إضافة في هذا البحث الذي أشارك به في هذا المؤتمر المبارك أنه يربط بين انحرافات وضلالات الخوارج الأوائل وبين انحرافات وضلالات الجماعات والأحزاب المعاصرة، ويسقط صفات الخوارج الأوائل الواردة في النصوص الشرعية على الجماعات والأحزاب المعاصرة، وذلك كم أجل إثبات الحقيقة الماثلة والثّابتة، وهي أنّ هذه الجماعات والأحزاب امتداد طبيعيّ للخوارج الأوائل.

خطة البحث:

جاءت خطة البحث على النّحو الآتي:

- مقدمة: وفيها تعريف بالبحث، وبيان لأهمّيّته، واستعراض للدّراسات السّابقة، وعرض للإشكاليّة التي يعالجها، ونحو ذلك مما يذكر في مقدّمات البحوث العلميّة عادة.
- وقد عرضت في هذا البحث أهمّ الانحرافات المشتركة بين الخوارج الأوائل

وخوارج العصر على النّحو الآتي:

- المطلب الأوّل: تجدّد ظهور الخوارج في أشكال مختلفة
- المطلب الثاني: الظهور في أوقات الفرقة والفتن والاختلاف
- المطلب الثّالث: الابتداع في الدّين
- المطلب الرابع: تفريق جماعة المسلمين
- المطلب الخامس: تأسيس الجماعات وتأمير الأمراء وعقد البيعات
- المطلب السّادس: الدعوة إلى اعتزال الجماعة المسلمة
- المطلب السّابع: التكفير بالذنب
- المطلب الثّامن: السّرّية
- المطلب التّاسع: الخروج على ولّاة الأمور
- المطلب العاشر: التشهير بمثالب ولاة الأمور وأخطائهم
- المطالب الحادي عشر: الافتيات على ولّاة الأمور
- المطلب الثّاني عشر: اتّهام الحكّام بالجور والمطالبة بالعدالة
- المطلب الثّالث عشر: هجر المساجد والجمع والجماعات
- المطلب الرّابع عشر: الغدر والخيانة وقتل الرّسل والسفراء
- المطلب الخامس عشر: الجمع بين كثرة العبادة والانحراف عن منهج السّلف
- المطلب السّادس عشر: حداثة السّنّ وسفاهة الأحلام
- المطلب السّابع عشر: الجهل بالدّين
- المطلب الثّامن عشر: التنفير من العلماء الموثوقين ونبزهم وتعييرهم
- المطلب التّاسع عشر: مخالفة توجيهات العلماء والتزهيد في علمهم
- المطلب العشرون: خلوُّ صفوفهم من العلماء
- المطلب الواحد والعشرون: البذاءة والفظاظة وقلّة الأدب
- المطلب الثّاني والعشرون: تضليل الأتباع والتّلبيس عليهم
- المطلب الثّالث والعشرون: لبس الحقّ بالباطل
- المطلب الرابع والعشرون: الافتراء على أهل الحقّ بالتّهم الباطلة

- المطلب الخامس والعشرون: الاعتماد على الاستدلالات الباطلة
- المطلب السّادس والعشرون: التعلّق بالدّنيا
- المطلب السّابع والعشرون: سفك الدّماء المعصومة
- المطلب الثّامن والعشرون: تقصّد الوحشية في قتل المسلمين
- المطلب التّاسع والعشرون: الرّغبة في الانتقام
- المطلب الثّلاثون: استحلال نساء وأموال أهل القبلة
- المطلب الواحد والثّلاثون: الورع البارد على خلاف السنّة
- المطلب الثّاني والثّلاثون: التناقض والاضطراب
- المطلب الثّالث والثّلاثون: سوء العاقبة
- المطلب الرّابع والثّلاثون: اتّباع المتشابه
- المطلب الخامس والثّلاثون: الكبر والإعراض عن الحقّ
- المطلب السّادس والثّلاثون: ردّ النّصوص الشّرعية والاعتراض عليها
- المطلب السّابع والثّلاثون: الخروج على السنّة
- المطلب الثّامن والثّلاثون: رفع الشّعارات الزّائفة والدّعاوى الكاذبة
- المطلب التّاسع والثّلاثون: التّباكي على مآسي المسلمين
- المطلب الأربعون: تنفيذ الاغتيالات السياسية
- المطلب الواحد والأربعون: تلاوة القرآن بلا تفهّم
- المطلب الثّاني والأربعون: المروق من الدّين
- المطلب الثّالث والأربعون: شرّ الخلق والخليقة
- المطلب الرّابع والأربعون: يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان
- المطلب الخامس والأربعون: الاختلاف والانشقاق والتناحر
- خاتمة: وفيها إبراز لأهم نتائج البحث، وعرض للتّوصيات.

والحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه وإخوانه أجمعين.

اشترك خوارج العصر مع الخوارج الأوائل في عدد كبير من الانحرافات والبدع والضّلالات، سأعرضها في المطالب الآتية:

المطلب الأوّل: تجدّد ظهور الخوارج في أشكال مختلفة:

لقد أخبر النّبيّ ﷺ أنّ الخوارج يتجدّدون في هذه الأمة بأفكارهم المنحرفة ومناهجهم الفاسدة؛ وإن اختلفت مسمّياتهم، وألقابهم، وهذه علامة من علامات الخوارج التي اشتركوا فيها قديما وحديثا، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ عن الخوارج: (كلما خرج قرن قطع، قالها أكثر من عشرين مرة، حتى يخرج في عِراضِهم -جيشهم- الدجّال)[1].

ولهذا ظهر خوارج العصر في أحزاب وفرق متضاربة وتنظيمات وجماعات مختلفة إلا أن جرائمهم وانحرافاتهم واحدة في قبحها ووحشيّتها لا تتبدّل ولا تتغيّر في كل زمان ومكان يظهرون فيه.

ولا يخفى أن خوارج هذا العصر يستغلّون عددا من الوسائل المعاصرة في ترويج بضاعتهم الفاسدة، وأفكارهم الآثمة، فلا تستبعد أن تجدهم منتظمين في حزب سياسيّ، أو مشرفين على قناة تلفزيونيّة، أو محطّة إذاعيّة، أو جريدة أو مجلّة إعلاميّة، أو جمعيّة خيريّة، أو مواقع وشبكات إلكترونية، بل لا تستبعد أن ترى الخوارج يشرفون على مدرسة قرآنيّة، أو يتصدّرون المجالس ينفثون سمومهم في شباب الأمة، من خلال خطب منبريّة، أو دروس مسجديّة، أو محاضرات جامعيّة وأكاديميّة.

والخوارج يشتركون في الاتّصاف بعلامات الخوارج الأساسيّة، التي من اتّصف بها فقد انتحل مذهب الخوارج -ولا كرامة- وتلك العلامات هي:

- الأولى: الخروج على ولّاة الأمور والتحريض على ذلك.
- الثانية: تكفير المسلمين بغير حقّ سواء كانوا من الحكّام أو من المحكومين.

---

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه: كتاب الإيمان وفضائل الصحابة، ١٢- باب في ذكر الخوارج، رقم: (١٧٤)؛ وصحّحه الشيخ الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها": رقم: (٢٤٥٥).

- الثالثة: استباحة دماء المسلمين المعصومة سواء كانوا من الحكام أو المحكومين.

فالواجب على الشّباب المسلم أن يزن ما يراه حوله اليوم من فرق وجماعات وتنظيمات وشخصيّات بهذا القسطاس المستقيم، فإنه لا تطفيف فيه، فمن كان مواقعا لتلك الصفات المهلكات؛ فاعلم أنه قد انتحل مذهب الخارجين من ضئضئ ذي الخويصرة رأس الخوارج؛ ولو كان من المعاصرين.

المطلب الثاني: الظهور في أوقات الفرقة والفتن والاختلاف:

الخوارج يظهرون في حين فرقة من النّاس كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ في قوله: (ويخرجون على حين فرقة من النّاس)[1].

وهذا هو شأن الخوارج وديدنهم في كلّ زمان ومكان؛ فإنهم يخفون أفكارهم الثّورية الخارجيّة ويتكتّمون عليها، ثمّ إذا رأوا اضطرابا أو فُرقة أو خلافا بين جماعة المسلمين؛ استغلّوا الفرصة، وأظهروا قرونهم، وأمعنوا في تفريق جماعة المسلمين، وتمزيق صفوفهم.

وهذه علامة من العلامات التي اشترك فيها الخوارج في القديم والحديث، فقد ظهروا في زمن الصّحابة في حين فرقة من النّاس بعد اغتيالهم للخليفة الراشد عثمان بن عفّان رضي الله عنه، وظهروا في هذا العصر في حين ضعف المسلمين وفرقتهم بعد سقوط الدّولة العثمانيّة، وادّعوا أنهم يسعون لاسترجاع الخلافة وإقامتها، فأنشؤوا الجماعات المبتدعة، وعقدوا البيعات الحزبيّة، وأحيوا بدع الخوارج المقبورة، ونفّذوا الاغتيالات السياسية التي هي صناعتهم وحرفتهم القديمة المتجدّدة، وفارقوا جماعة المسلمين وفرّقوها، ولا يزال شرّ خوارج العصر من الجماعات والأحزاب وبغيهم يتطاير على المسلمين وأقطارهم إلى يوم النّاس هذا.

(١) أخرجه الإمام البخاريّ في صحيحه: ٨٨- كتاب استتابة المرتدّين والمعاندين وقتالهم، باب من ترك قتال الخوارج للتألّف وأن لا ينفر النّاس عنه، رقم: (٦٩٣٣)؛ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه: ١٢- كتاب الزّكاة، ٤٧- باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم: (١٠٦٤).

المطلب الثّالث: الابتداع في الدّين:

كان الخوارج ولا يزالون أهل ابتداع في الدّين؛ ولذلك كانت أوّل بدعة حدثت في الإسلام هي بدعة الخوارج، قال شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله (ت:٧٢٨ه): "وأول بدعة حدثت في الإسلام بدعة الخوارج والشيعة، حدثتا في أثناء خلافة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب فعاقب الطائفتين، أما الخوارج فقاتلوه؛ فقتلهم، وأما الشّيعة فحرّق غالبيّتهم بالنّار، وطلب قتل عبد الله بن سبأ، فهرب منه، وأمر بجلد من يُفضّله على أبي بكر وعمر"(١).

والبدعة صفة ملازمة للخوارج قديما وحديثا، ولذلك غرقت الجماعات والأحزاب المعاصرة في البدعة والضّلالة كما هو واقعها المشاهد اليوم، فالحزبية، والجماعة، والإمارة، والبيعة، والتكفير، كل هذا من البدع التي ركبتها هذه الجماعات والأحزاب في العصر الحديث.

ولمّا كان الخوارج أهل ابتداع وضلال فقد نزّل الصّحابة رضي الله عنهم على الخوارج وأضرابهم قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

قال الإمام ابن جرير الطّبري رحمه الله (٣١٠ه) في تفسيرها: "وقال آخرون بل هم الخوارج"(٢)، ثمّ أخرج بسنده عن أبي الطُّفيل، قال: سأل عبد الله بن الكوّاء –وكان من الخوارج– عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا ﴾؛ قال: أنتم يا أهل حَروراء(٣).

ويستفاد من هذا الأثر صفة من صفات الخوارج وهي أنّهم ضلّوا ضلالا مبينا بسبب بعدهم عن التمسّك بنصوص الوحيين، ومع ذلك فهم يحسبون أنّهم على شيء كبير من الخير، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا، وهذه صفة من صفات الخوارج التي تلازمهم ويلازمونها في القديم والحديث.

---

(١) "مجموع الفتاوى": (٣/ ٢٧٩).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري: (١٨/ ١٢٧).

(٣) المصدر السابق.

ونزّل الصحابة رضي الله عنهم في الخوارج أيضا قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[الصّفّ: ٥].

أخرج الإمام ابن جرير الطّبريّ رحمه الله (٣١٠هـ) بسنده عن أَبي أمامة رضي الله عنه في قوله: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ ﴾؛ قال: هم الخوارج[١].

فالخوارج قد زاغوا عن الهدى، فعاقبهم الله تبارك وتعالى بزيغ قلوبهم، وهكذا هم في القديم والحديث فإنّ بدعتهم وضلالتهم أعمت قلوبهم وأبصارهم.

قال العلّامة ابن القيّم رحمه الله (٧٥١ه): "وهكذا إذا أعرض العبد عن ربه سبحانه جازاه بأن يعرض عنه؛ فلا يُمكِّنُه من الإقبال عليه؛ ولْتكُن قصّة إبليس منك على ذُكر، تنتفع بها أتمّ انتفاع، فإنه لما عصى ربه تعالى؛ ولم ينقدْ لأمره؛ وأصرّ على ذلك؛ عاقبه بأن جعله داعيا إلى كل معصية؛ فعاقبه على معصيته الأولى بأن جعله داعيا إلى كل معصية وفروعها صغيرها وكبيرها، وصار هذا الإعراض والكفر منه عقوبة لذلك الإعراض والكفر السابق؛ فمِن عِقاب السّيئة السّيئة بعدها كما أن من ثواب الحسنة الحسنة"[٢].

ولقد أُشرِبَ الخوارج في قلوبهم البدعة والهوى، ولذلك قام أوائلهم باغتيال الصحابة رضي الله عنهم بدعوى أنهم يصلحون ما أفسده النّاس، ولمّا أشهر الخارجيّ عبد الرحمن بن ملجم –قطع الله دابرَه– سيفه لقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قرأ قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾[البقرة:٢٠٧][٣]، وهو يعني أنه يبتغي رضوان الله باغتياله للخليفة الرّاشد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه الذي لا يوجد في النّاس من هو خير منه آنذاك.

ولما كان الخوارج أهل ابتداع في الدين فقد نزّل فيهم الصحابة رضي الله عنهم قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُون ﴾[آل عمران:١٠٦].

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري: (٢٣/ ٣٥٨).

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيّم، (دار المعرفة– ط ١٣٩٨ه)، (ص:٩٧).

(٣) "البداية والنهاية" لابن كثير: (١١/ ١٤).

فقد أخرج الإمام ابن جرير الطّبريّ رحمه الله (٣١٠ه) بسنده عن أبي أُمَامَةَ الباهليّ رضي الله عنه قال:" ﴿ فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم ﴾ [آل عمران:١٠٦]، قال: هم الخوارج[1].

وأخرج الإمام أبو القاسم اللالَكائي رحمه الله (٤١٨ه) عن أبي غالب قال: كنت بدمشق زمن عبد الملك؛ فجيء برؤوس الخوارج فنصبت على أعواد، فجئت لأنظر فيها، فإذا أبو أمامة؛ عندها فدنوت فنظرت إليها، ثم قال: «كلاب النار» - ثلاث مرات - «شرّ قتلى تحت أديم السماء، ومن قتلوه خير قتلى تحت أديم السماء»، قالها ثلاث مرات، ثم استبكى، فقلت: «يا أبا أمامة ما الذي يبكيك؟»، قال: «كانوا على ديننا». فذكر ما هم صائرون إليه، فقلت له: "شيء تقوله برأيك أم شيء سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: إنّي إذا لجريء - ثلاث مرات - «لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثا» - إلى السبع - "لما حدَّثتكموه، أما تقرأ هذه الآية في آل عمران: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٦] إلى آخر الآية ، ثم قال: "اختلفت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، سبعون فرقة في النار وواحدة في الجنة، واختلفت النّصارى على اثنتين وسبعين فرقة، واحدة وسبعون في النار وفرقة واحدة في الجنة، فقال: تختلف هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة "، قلنا: انعتهم لنا؛ قال: «السّواد الأعظم»[2].

ويستفاد من هذه الآثار أنّ الخوارج من الذين تسودّ وجوههم يوم القيامة، ويستفاد منه أيضا أنّ أئمّة السّلف من الصّحابة رضي الله عنهم كانوا لا يتأخرون في التحذير منهم، وذكر عيوبهم، ومثالبهم، كما كانوا يعادونهم، ويبغضونهم، ويحذِّرون الناس منهم ومن شرّهم، وفيه أيضا أنّ الخوارج لا ينصرهم الله تعالى أبدا، وأنهم كلما ظهر لهم قرن قطع، وكلّما خرجوا قطعت رؤوسهم، وعلّقت لهم المشانق، وهلكوا على ضلالتهم، نسأل الله السّلامة والعافية، وها هو التاريخ يعيد نفسه، فهذا هو المصير الذي لقيه خوارج العصر، فإنهم كلما خرجوا قُتِلوا؛ ومزِّقوا كلّ ممزّق، وأهريقت دماؤهم، وهذه سنة الله تعالى في

(١) تفسير ابن جرير الطبري: (٧/ ٩٤).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة: (١/ ١١٤).

الخوارج قديما وحديثا، ولن تجد لسنة الله تحويلا، قال عبد الله بن عباس رضي الله عن الخوارج الذين خرجوا على الصحابة رضي الله عنهم وقاتلوهم في النّهروان: "فقتلوا على ضلالتهم، فقتلهم المهاجرون والأنصار"[1].

المطلب الرابع: تفريق جماعة المسلمين:

الخوارج هم أوّل من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع، قال شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله (ت:٧٢٨ه): "ولهذا كان أوّل من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع الخوارج المارقون"[2]، ولذا فإنّ خوارج العصر لا يزالون ينشئون الجماعات والأحزاب والفرق الضّالة ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، ولا شكّ أنّ هذا ضرب من ضروب مفارقة الجماعة وتفريقها.

ولذلك نزّل الصّحابة رضي الله عنهم في الخوارج قوله تعالى: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا

(١) أخرجه الإمام عبد الرزاق (ت:٢١١ه) في: "المصنّف": (رقم:١٨٦٧٨)، في كتاب "اللقطة"، باب "ما جاء في الحرورية"، عن عكرمة بن عمّار ، قال: حدثنا أبو زُمَيْلٍ الحنفي ، قال: حدثنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه: فذكره. وأخرجه الإمام النسائي (ت:٣٠٣ه) في: "السنن الكبرى": (رقم:٨٥٢٢)، في كتاب "الخصائص"، باب "ذكر مناظرة عبد الله بن عباس الحرورية واحتجاجه فيما أنكروه على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه"، واللفظ المذكور آنفا له. والإمام الحاكم (ت: ٤٠٥ه) في: "المستدرك على الصحيحين": (رقم:٢٦٥٦)، في كتاب "قتال أهل البغي، وهو آخر الجهاد". والإمام البيهقي (ت:٤٥٨ه) في "السنن الكبرى": (رقم: ١٦٧٤٠)، في كتاب "قتال أهل البغي"، باب "لا يبدأ الخوارج بالقتال حتى يسألوا ما نقموا ، ثم يؤمروا بالعود ، ثم يؤذنوا بالحرب". والحافظ ابن عبد البرّ (ت:٤٦٣ه) في: "جامع بيان العلم وفضله": (رقم: ١٨٣٤)، في باب "إتيان المناظرة والمجادلة وإقامة الحجة...". وأخرجه ببعضه جمع من الأئمة والحفاظ منهم: الإمام أحمد (ت:٢٤١ه) في مسنده: (رقم: ٣١٨٧)، وأبو داود (ت:٢٧٥ه) في سننه: (رقم: ٤٠٣٧)، وضياء الدين المقدسي (ت:٦٤٣ه) في: "الأحاديث المختارة"، (رقم:٤٣٣). وقد روى الأئمة هذا الأثر من طرق عن عكرمة بن عمّار ، عن أبي زميل الحنفي، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. والحديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه في الصّحيحين كما قال الحاكم في المستدرك، ووافقه الذهبي فقال: "على شرط مسلم"، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد": "رواه الطبراني، وأحمد ببعضه، ورجالها رجال الصحيح".

(٢) "مجموع الفتاوى": (٣/ ٣٤٩).

يفعلون ﴾[الأنعام:١٥٩].

أخرج الإمام ابن كثير بسنده عن أبي غالب، عن أبي أمامة، في قوله: ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ﴾، قال: هم الخوارج[١].

ونزّل الصحابة رضي الله عنهم في الخوارج قوله تعالى: ﴿ ولا تكونوا من المشركين، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ﴾[الرّوم:٣٢].

قال الإمام السّمعاني في تفسيره: "والقول الثاني: أن المراد من الآية هم الخوارج، حكي هذا عن أبي أمامة الباهلي، والقول الثالث: أن المراد من الآية أهل الأهواء والبدع، وقد روي هذا في خبر مسند عن عائشة – رضي الله عنها – أن النبي قال لها: "إن الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا هم أهل الأهواء والبدع من هذه الأمة، يا عائشة، إن لكل قوم توبة إلا أهل الأهواء والبدع؛ فليس لهم توبة، أنا منهم بريء، وهم مني براء"[٢].

وقد حكم العلماء بتضليل الخوارج وتبديعهم وانحرافهم عن الصّراط المستقيم، ودخولهم في الفرق الثّنتين والسّبعين المتوعّدة بالنّار، المخالفة للفرقة الناجية؛ وسبب تبديعهم هو مفارقتهم لجماعة المسلمين، وانعزالهم عنها، وتميّزهم عنها بفرقة، وبيعة، وعقيدة مخالفة لمعتقد أهل السنة والجماعة، فإنه من فارق الجماعة، وانخزل عن المسلمين، وتميّز عنهم باسم أو رسم أو بيعة أو أمير أو ولاء أو عقيدة مغايرة لعقيدة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم؛ كان من الفرق المخالفة للجماعة، المتناثرة على جنبتي الصراط المستقيم.

وقد أسهب الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في بيان أسباب خروج الفرق الضّالة عن جماعة المسلمين، في كتابه المعطار: "حكم الانتماء للفرق والجماعات الإسلامية"، وقرّر أنه "إذا انخزل فرد من المسلمين، أو انخزلت فرقة عنهم، فهذا انشقاق عن المسلمين وتفريق لجماعتهم، وهو في طبيعة حاله انخزال عن كلّ الإسلام على منهاج النبوّة، وعكسٌ لما أوصى به النّبيّ ﷺ من اعتزال الفرق كلّها، ولزوم جماعة المسلمين، فهذا اعتزل جماعة المسلمين، والتزم بالفرقة المفارقة لهم باسم أو رسم"[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير: (٣/ ٣٧٧)، وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: "رُوِي عنه مرفوعا، ولا يصحّ".

(٢) تفسير السمعاني: (٤/ ٢١٣).

(٣) "حكم الانتماء للفرق والجماعات الإسلاميّة": (ص:٦٢).

وحكم الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله بأن: "هذه الأحزاب والجماعات الإسلامية القائمة في عصرنا مرفوضة سندا، ومتنا، وأنّها امتداد للفرق والطّوائف التي انشقّت عن جماعة المسلمين بعد عصر الخلافة الرّاشدة، وإن اختلفت في اللّقب والشّعار، وشيء من التخطيط والمنهج"[1].

وقد ذمّ أهل السّنة والجماعة الخوارج وجميع أهل البدع؛ بسبب تفريقهم لجماعة المسلمين، فمُقدّم الخوارج ذو الخويصرة -بقر الله خاصرته- هو أول من سنّ نزعة الخلاف والمنابذة والفرقة والخروج على ولاة الأمور في تاريخ هذه الأمّة المرحومة، وكان ذلك في زمن النبي ﷺ، ولذلك عدّ علماء الإسلام الخوارج من أصول الفرق الضالة، المخالفة للفرقة النّاجية، فقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٧٢٨هـ) عن يوسف بن أسباط (١٩١هـ)، وعبد الله بن المبارك (١٨١هـ) أنهم قالوا: "أصول البدع أربعة: الخوارج، والشّيعة، والقدريّة، والمرجئة"[2].

المطلب الخامس: سيس الجماعات وتأمير الأمراء وعقد البيعات:

من ضلالات وانحرافات الخوارج المشتركة بينهم في القديم والحديث أنّهم كلما خرجوا أمّروا عليهم أميرا منهم، وبايعوه على السّمع والطاعة كبيعة المسلمين لولاة أمورهم، وهذا شأنهم وديدنهم، فإنهم يوم خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أمّروا عليهم أميرا، وعقدوا له بيعة.

كما كان أوّل ما أحدثه وابتدعه خوارج العصر وأصحاب الفرق والجماعات والأحزاب هو خلع البيعة لولاة أمور المسلمين، وتأسيس جماعة متحزّبة، لها اسم، وشعار، وتنظيم، وانتماء، وأمّروا عليهم أميرا، فكان من أوّل ما يأمرهم به من المحدثات والمخالفات أن يبايعوه على السّمع والطّاعة في المنشط والمكره، كما يبايع المسلمون ولاة أمورهم.

لذلك قال أبو الأعلى المودودي وهو أحد منظّري الجماعات والفرق والأحزاب

(١) المصدر السابق: (ص:١٠).

(٢) "النّبوات" لابن تيميّة: (١/ ٥٧٧).

المعاصرة: "إن مقتضيات الإسلام بحاجة إلى عمل جماعي، وإن هذا العمل مضيّق عليه، ما دام سلطان الكفر مستوليا على الحياة الاجتماعية، فلا مندوحة لإقامة الدين الكامل إلا أن يصبحوا كتلة متراصة، يردّون عدوان من يعترض سبيلهم"(١)، وقال في موضع لاحق: "إن ظهور غير واحد من الجماعات لغاية واحدة أمر لا يستحسن، ولكن ليس لنا في ذلك مندوحة حتى تتكوّن الجماعة التي تشمل الأمّة بأسرها، والتي يكون الخروج عليها خروجا على الإسلام"(٢).

وقال أبو قتادة الفلسطيني وهو أحد رؤوس خوارج العصر: "أولويّات الحركة الجهاديّة إعادة العقد الجامع لشتات المسلمين، أي دولة الخلافة الضائعة، فلما سقطت الخلافة انفرط عقد الأمة فلم تعد تستحقّ اسم الأمة"(٣).

وقال وسيم فتح الله وهو أحد منظري الفكر التكفيري المعاصر: "البيعة التي وردت بها النصوص كما في حديث النبيّ ﷺ: من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجّة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة، لنبيّن أن المقصود بهذه البيعة البيعة العامة للإمام والخليفة..."(٤).

ولا يخفى على كلّ من له بصيرة بالكتاب والسنة أن هذه البيعة التي ابتدعها خوارج العصر لأمراء جماعتهم ومرشديها وما تبعها من حزبيّة وانتماء تعدّ في ميزان الإسلام خروجا مذموما على ولاة أمور المسلمين، ومفارقة واضحة لجماعة المسلمين وإمامهم، ومخالفة صريحة للنصوص النبويّة المتكاثرة التي تأمر بلزوم الجماعة، وتنهى عن تفريق المسلمين، من مثل قوله ﷺ (من رأى من أميره شيئا يكرهه؛ فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات، إلا مات ميتة جاهلية)(٥)، وأمره ﷺ حذيفة رضي الله عنه بلزوم الجماعة

(١) "شهادة الحق": (ص:٣٦).
(٢) شهادة الحق": (ص:٣٩).
(٣) الجهاد والاجتهاد": (ص:٦٣).
(٤) لزوم الجماعة" لوسيم فتح الله: (ص:٧).
(٥) خرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الفتن، باب قول النّبي ﷺ سترون بعدي أمورا تنكرونها، رقم: (٧٠٥٤)، والإمام مسلم في صحيحه: ٣٣- كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدّعاة إلى الكفر، رقم: (١٨٤٩).

في قوله: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)[1]، وقوله ﷺ: (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإنْ عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا)[2].

والحديث الذي يقصم ظهر الخوارج وأصحاب الجماعات والأحزاب هو إنكار عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن أبيه على عبد الله بن مطيع وأهل المدينة في موقعة الحَرَّة، لمّا خلع أهل المدينة بيعة يزيد بن معاوية رضي الله عن أبيه، وهو ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن نافع، قال: جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحَرَّةِ ما كان، زمن يزيد بن معاوية، فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال: إنِّي لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدِّثك حديثا سمعت رسول الله ﷺ قوله: سمعت رسول الله ﷺ قول: (من خلع يدا من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية)[3].

فالبيعة الشّرعيّة الصحيحة التي يحرم خلعها لا تكون إلا لوليّ أمر المسلمين، وأما هذه البيعة المنكرة والحزبيّة البغيضة التي ابتدعها الخوارج قديما وأمعن خوارج العصر من الفرق والتنظيمات والجماعات والأحزاب في تكريسها ما هي في حقيقتها إلا تحزّب على غير إمام المسلمين، وتفريق لجماعتهم، وإضعاف لقوّتهم.

والسبب الذي يدفع خوارج العصر إلى الوقوع في مغبّة هذه البدعة ونتن هذه الحزبية إنما هو سوء فهمهم؛ بل تحريفهم لأصل من أصول الإسلام، وهو أصل الولاية العامّة، والذي يعني لزوم جميع المسلمين في كلّ قطر من الأقطار لجماعة واحدة، والتفافهم حول وليّ أمر واحد.

ولا شكّ أن أصل الولاية العامة في الإسلام هو صِمام الأمان الذي يضمن للأمة

---

(١) خرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة؟، رقم: (٧٠٨٤)، والإمام مسلم في صحيحه: ٣٣- كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدّعاة إلى الكفر، رقم: (١٨٤٧).

(٢) سند الإمام أحمد: (١٧١٤٤)، وسنن أبي داود: ٣٩- كتاب السنّة، باب في لزوم السنّة، رقم: (٤٦٠٧)، وصحّحه الشيخ الألباني في: إرواء الغليل: (٢٤٥٥).

(٣) خرجه الإمام مسلم في صحيحه: ٣٣- كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، رقم: (١٨٥١).

المسلمة وحدتها واجتماع كلمتها وتماسك صفوفها، وقدرتها على مجابهة أعدائها، غير أن الخوارج في كلّ عصر ومِصر يقوّضون هذا الأصل الشرعي العظيم، وينسفونه بزعمهم بأن ولاة أمور المسلمين ليسوا ولاة شرعيين، ولا تصحّ إمامتهم، وأن البيعة لا تنعقد لهم، وأنه لا يوجد اليوم على وجه الأرض جماعة مسلمة، ولا دولة مسلمة، ولا بيعة شرعية، وغير ذلك من مزاعمهم الآثمة وتصوّراتهم المعكوسة المنتكسة، وبناء عليه فيجب على المسلمين بزعمهم إيجاد الجماعة المسلمة، والحاكم المسلم.

ولذلك يبايع الخوارج اليوم أمراءهم على إقامة دولة الإسلام واسترجاع الخلافة الإسلامية، ويزعمون أن وليّ الأمر الشّرعي الذي يجب طاعته هو أميرهم وليس وليّ أمر عامّة المسلمين، وعلى أمير جماعتهم ينزّلون جميع أحاديث البيعة والسّمع والطاعة، ولا ينزلونها على ولاة أمور المسلمين، فقوله ﷺ: (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة)[1]، هو عندهم بمعنى: من مات وليس في عنقه بيعة لأمير الخوارج ومرشِد جماعتهم فقد مات ميتة جاهليّة؛ ثمّ ترتّب على هذا الفهم المحرّف لأصل الولاية العامّة مفاسد عظيمة في فكر خوارج العصر، فهو السبب الذي دفعهم إلى الحزبيّة، والتي ترتّب عليها ضياع أصل الولاء والبراء، فصاروا يوالون على مجرّد الانتماء، بغضّ النّظر عن انحراف وضلال ذلك المنتمي في سائر الأصول.

وهكذا تلاعب الخوارج قديما وحديثا بأصل الولاية العامة في الإسلام، وقوّضوه، ونسفوه، وأسهموا بحمقهم وغبائهم في تمزيق شمل الأمة المسلمة، وتفريق صفوفها، وتشتيت كلمتها، ووقعوا فيما نهانا الله عنه من الحزبية والتفرّق والشّقاق، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم:٣٠، ٣١]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[الأنفال: ٤٦].

(١) بق تخريجه.

المطلب السّادس: دعوة إلى اعتزال الجماعة المسلمة:

من انحرافات الخوارج وعلاماتهم أنهم متى ظهروا اجتمعوا مع بعضهم، وانعزلوا عن جماعة المسلمين، وفرّقوها، وهذه صفة من صفاتهم التي اشتركوا فيها قديما وحديثا.

ولهذا دعا منظّرو الخوارج في العصر الحديث إلى العزلة الشّعورية، وأرشدوا أتباعهم إلى اعتزال المجتمعات المسلمة المعاصرة، وحكموا عليها بالجاهليّة؛ قال سيّد قطب وهو أحد منظّري خوارج العصر عن قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] ما نصه: "وقد يجد المؤمنون أنفسهم ذات يوم مطاردين في المجتمع الجاهلي، وقد عمت الفتنة وتجبر الطاغوت، وفسد الناس، وأنتنت البيئة، وكذلك كان الحال على عهد فرعون في هذه الفترة، وهنا يرشدهم الله إلى أمور:

اعتزال الجاهلية بنتنها وفسادها وشرها- ما أمكن في ذلك- وتجمع العصبة المؤمنة الخيرة النظيفة على نفسها، لتطهرها وتزكيها، وتدربها وتنظمها، حتى يأتي وعد الله لها.

اعتزال معابد الجاهلية واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد. تحس فيها بالانعزال عن المجتمع الجاهلي، وتزاول فيها عبادتها لربها على نهج صحيح وتزاول بالعبادة ذاتها نوعاً من التنظيم في جو العبادة الطهور"[2].

ولا يسلّم لخوارج العصر القول بالعزلة الشعورية، وهجران المساجد، لأن هذه المساجد بيوت الله تعالى، ومجتمعاتنا المسلمة اليوم شعوب مسلمة لا يجوز هجرتها، ولكن يجب مخالطتها والصبر على أذاها كما أخبر بذلك النبيّ ﷺ[3].

كما أنّه لا يُعرفُ أنّ طائفة اعتزلت جماعة المسلمين وهجروا مساجدها في تاريخ المسلمين سوى ما كان من الخوارج الأوائل، الذين خرجوا على الصحابة رضي الله عنهم، فقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين عزم على مناظرة الخوارج والذّهاب إليهم: "فقلت لعلي: يا أمير المؤمنين أبرد

(١) ورة يونس: الآية ٨٧.

(٢) في ظلال القرآن": (٣/ ١٨١٦).

(٣) القصة الكاملة لخوارج عصرنا" للشيخ إبراهيم بن صالح المحيميد: (ص:٥٤).

بالصلاة بالظهر، فلا تفتني، لعلّي أكلم هؤلاء القوم-يعني الخوارج"[1]، ويستفاد من هذا الخبر أن الخوارج الأوائل هجروا جماعة المسلمين وانعزلوا عنها.

المطلب السّابع: تكفير بالذنب:

من انحارفات الخوارج أنّهم يكفّرون المسلمين بالذنوب، قال شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله (٧٢٨ه): "فالخوارج لما فارقوا جماعة المسلمين وكفّروهم واستحلّوا قتالهم جاءت السنّة بما جاء فيهم"[2]، وقال أيضا: "والخوارج هم أوّل من كفّر المسلمين، يكفّرون بالذنوب، ويكفّرون من خالفهم في بدعتهم، ويستحلّون دمه وماله، وهذه حال أهل البدع يبتدعون بدعة ويكفّرون من خالفهم فيها، وأهل السنّة والجماعة يتّبعون الكتاب والسنّة، ويطيعون الله ورسوله، فيتّبعون الحق ويرحمون الخلق"[3].

ويرى الخوارج أن ديار الإسلام دار كفر أو دار حرب، وهي ضلالة اشتركوا في ركوبها في القديم والحديث، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع؛ أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم؛ وأن دار الإسلام دار حرب؛ ودارهم هي دار الإيمان... فهذا أصل البدع التي ثبت بنصّ سنة رسول الله ﷺ وإجماع السلف أنها بدعة، وهو جعل العفو سيئة، وجعل السيّئة كفرا"[4].

وقد ارتكب خوارج العصر وأصحاب الجماعات والأحزاب ما ذكره شيخ الإسلام -رحمه الله- عنهم حذو القذّة بالقذّة، فكفّروا حكّام المسلمين بالذّنب، وهو ذنب الحكم بغير ما أنزل، ثمّ كفّروا طائفة الحكام، وهم الوزراء والأعوان والجيش والشرطة، ثم كفروا من لم يكفّر طائفة الحكام من عامة المسلمين، ثم انتقلوا إلى خطوة أخطر وأخطر، فكفّروا كل مسلم يرضى بالانضواء تحت راية أولئك الحكام، وبهذا لا يسلم أحد من

(١) سبق تخريجه.
(٢) مجموع الفتاوى": (٣/ ٣٥٠).
(٣) لمصدر السّابق: (٣/ ٢٧٩).
(٤) مجموع الفتاوى": (١٩/ ٧١).

المسلمين من التكفير.

وفي نهاية المطاف، وبعد كل هذه الخطوات المنحرفة الآثمة وصلوا إلى استباحة دماء جميع المرتدّين –في نظرهم–، وهم الذين سبق ذكرهم من المسلمين، وهي النتيجة نفسها التي وصل إليها أسلافهم من الخوارج، حين استحلوا دماء الصحابة –رضي الله عنهم–، واستباحوا دماء أهل القبلة، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان.

قال أبو الأعلى المودودي وهو أحد أوائل منظّري الفكر الخارجي المعاصر: "ودعوتنا لجميع أهل الأرض أن يحدثوا انقلابا عامّا في أصول الحكم الحاضر، الذي استبدّ به الطّواغيت والفجرة، الذين ملؤوا الأرض فسادا، وأن تُنزع هذه الإمامة الفكريّة والعلميّة من أيديهم، حتى يأخذها رجال يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويدينون دين الحقّ، ولا يريدون علوا ولا فسادا"(١).

وقال أبو الأعلى المودوديّ أيضا: "لعلّه قد تبيّن لكم من كتاباتنا ورسائلنا أن غايتنا النهائية التي نقصدها من وراء ما نحن بصدده الآن من الكفاح، إنما هي إحداث الانقلاب في القيادة، وأعني بذلك أن ما نبتغي الوصول إليه والظفر به في هذه الدنيا أن نطهّر الأرض من أدناس قيادة الفسقة الفجرة وسيادتهم، ونقيم فيها نظام الإمامة الصالحة الراشدة، فهذا السعي والكفاح المتواصل نراه أكبر وأنجح وسيلة موصلة إلى نيل رضا الربّ تعالى، وابتغاء وجهه الأعلى في الدنيا والآخرة"(٢).

وقال سيّد قطب وهو من أبرز المتأثرين بفكر المودودي والمنتصرين له من خوارج العصر: "غاية الجهاد في الإسلام، هي هدم بنيان النظم المناقضة لمبادئه، وإقامة حكومة مؤسسة على قواعد الإسلام في مكانها واستبدالها بها، وهذه المهمة مهمة إحداث انقلاب إسلامي عام غير منحصرة في قطر دون قطر، بل مما يريده الإسلام، ويضعه نصب عينيه أن يحدث هذا الانقلاب الشامل في جميع أنحاء المعمورة، هذه غايته العليا، ومقصده الأسمى الذي يطمح إليه ببصره، إلا أنه لا مندوحة للمسلمين، أو أعضاء الحزب الإسلامي عن الشروع في مهمتهم بإحداث الانقلاب المنشود، والسعي وراء تغيير نظم

(١) تذكرة يا دعاة الإسلام" لأبي الأعلى المودوديّ: (ص:٧).

(٢) الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية" للأستاذ أبي الأعلى المودودي: (ص:٧).

الحكم في بلادهم التي يسكنونها، أما غايتهم العليا وهدفهم الأسمى فهو الانقلاب العالمي الشامل المحيط بجميع أنحاء الأرض"[1].

ومن أظهر العبارات التي تنضح بالتكفير في كلام سيد قطب قوله: "لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية بلا إله إلا الله، فقد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد، وإلى جور الأديان، ونكصت عن لا إله إلا الله، وإن ظلّ فريق منها يردّد على المآذن لا إله إلا الله، دون أن يدرك مدلولها، ودون أن يعني هذا المدلول، وهو يردّدها، ودون أن يرفض شرعية الحاكمية التي يدعيها العباد لأنفسهم- وهي مرادف الألوهية- سواء ادعوها كأفراد، أو كتشكيلات تشريعية، أو كشعوب، فالأفراد، كالتشكيلات، كالشعوب، ليست آلهة، فليس لها إذن حق الحاكمية، إلا أن البشرية عادت إلى الجاهلية، وارتدت عن لا إله إلا الله، فأعطت لهؤلاء العباد خصائص الألوهية، ولم تعد توحد الله، وتخلص له الولاء، البشرية بجملتها، بما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات لا إله إلا الله بلا مدلول ولا واقع، وهؤلاء أثقل إثماً، وأشد عذاباً يوم القيامة، لأنهم ارتدوا إلى عبادة العباد- من بعد ما تبين لهم الهدى- ومن بعد أن كانوا في دين الله"[2].

ومن عبارات سيد قطب أيضا التي تنضح بالتكفير قوله: "والذين لا يفردون الله سبحانه بالحاكمية- في أي زمان وفي أي مكان- هم مشركون. لا يخرجهم من هذا الشرك أن يكون اعتقادهم أن لا إله إلا الله- مجرد اعتقاد- ولا أن يقدموا الشعائر لله وحده. فإلى هنا يكونون كالحنفاء الذين لم يعتبرهم أحد مسلمين، إنما يعتبر الناس مسلمين حين يتمون حلقات السلسلة، أي حين يضمون إلى الاعتقاد والشعائر، إفراد الله سبحانه بالحاكمية، ورفضهم الاعتراف بشرعية حكم أو قانون أو وضع أو قيمة أو تقليد لم يصدر عن الله وحده"[3].

وقال سيد قطب أيضا وهو يكفّر المجتمعات المسلمة المعاصرة ويحكم عليها

(١) في ظلال القرآن": (٣/ ١٤٥١).
(٢) في ظلال القرآن" لسيّد قطب: (٤/ ٢٠٠٩).
(٣) المرجع السّابق: (٣/ ١٤٩٢).

بالجاهليّة: "وبهذا التعريف الموضوعي تدخل في إطار المجتمع الجاهلي جميع المجتمعات القائمة اليوم في الأرض فعلاً"[1]، ثمّ عدّد من يدخلون في إطار المجتمع الجاهلي، فذكر المجتمعات الشيوعية، والمجتمعات الوثنيّة، والمجتمعات اليهوديّة والنصرانيّة، ثم قال عن المجتمعات الإسلامية: "وأخيراً يدخل في إطار المجتمع الجاهلي تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة، وهذه المجتمعات لا تدخل في هذا الإطار؛ لأنها تعتقد بألوهية أحد غير الله، ولا لأنها تقدم الشعائر التعبدية لغير الله أيضاً، ولكنها تدخل في هذا الإطار لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده في نظام حياتها، فهي -وإن لم تعتقد بألوهية أحد إلا الله- تعطي أخص خصائص الألوهية لغير الله، فتدين بحاكمية غير الله، فتتلقى من هذه الحاكمية نظامها، وشرائعها وقيمها، وموازينها، وعاداتها، وتقاليدها، وكل مقومات حياتها تقريباً، والله سبحانه يقول عن الحاكمين: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[2]"[3].

وقال سيّد قطب وهو يؤكّد تكفيره للمجتمعات المسلمة المعاصرة: "والذيّن يظنون أنهم مسلمون بينما هم خاضعون لشريعة من صنع البشر- أي لربوبية غير ربوبية الله- واهمون إذا ظنوا لحظة واحدة أنهم مسلمون! إنهم لا يكونون في دين الله لحظة واحدة وحاكمهم غير الله، وقانونهم غير شريعة الله. إنما هم في دين حاكمهم ذاك"[4].

ثمّ جاء سيّد فضل فكفّر حكّام جميع البلدان الإسلامية المحكومة بقوانين وضعية، وسيّد فضل هو أحد أبرز منظري التكفير والتطرّف في العصر الحديث، وهو متأخر زمنيا عن المودودي وقطب إلا أنه متأثر بهما غاية التأثر، يقول في تكفير الحكام بسبب الحكم بالقوانين الوضعية ما نصه: "إن البلاد المحكومة بقوانين وضعية كبلدان المسلمين اليوم، لها أحكام خطيرة، من هذه الأحكام: أن حكام هذه البلاد قد كفروا كفرا أكبر، خارجون من ملة الإسلام. أن قضاة هذه البلاد كفار كفرا أكبر. أن أعضاء الهيئات التشريعية بهذه

(١) معالم في الطريق" لسيد قطب: (ص:٩٢).
(٢) ورة المائدة: الآية ٤٤.
(٣) معالم في الطريق" لسيّد قطب: (ص:٩٢).
(٤) في ظلال القرآن" لسيّد قطب: (٣/ ١٣٤٧).

البلاد كالبرلمان ومجلس الأمة كفار كفرا أكبر. أن الذين ينتخبون أعضاء هذه البرلمانات هم كفار كفرا أكبر، لأنهم بانتخابهم هذا إنما يتخذونهم أربابا مشرعين من دون الله. أن الجنود المدافعين عن هذه الأوضاع الكافرة هم كفار كفر أكبر، لأنهم إنما يقاتلون في سبيل الطاغوت، ويدخل في هذا الحكم كل من يدافع عن هذه الأنظمة الكفرية، بالقتال دونها كالجنود، أو يدافع عنها بالقول كبعض الصحفيين والإعلاميين والمشايخ. أنه لا طاعة لحكام هذه الدول على مسلم"[1].

وحين سئل أسامة بن لادن عن إمكانية تسليم نفسه للمحاكمة في بلد مسلم مثل السعودية، قال: "أفغانستان وحدها دولة إسلاميّة، وأنا لا أعتبر السعودية دولة إسلامية"[2].

نعم؛ لقد نضحت كتابات خوارج العصر من أصحاب الفرق والجماعات بتكفير المسلمين ومجتمعاتهم ودولهم، رغم أنه لا يجوز بالإجماع الاعتماد على القرائن في الحكم على ما في قلوب الناس، قال الإمام ابن الوزير اليماني رحمه الله (٨٤٠هـ) ما نصّه: "وقد أجمعتِ الأمة إجماعاً ضرورياً أنه لا يُكّفرُ أحدٌ ولا يُفَسَّقُ لمجرد الفهمِ والحَدْسِ (التوهّم) ولا يجري بذلك حُكم مِن أحكَام الشريعة النّبوية"[3].

ولذلك أنكر النبي ﷺ على أسامة بن زيد رضي الله عنهما حين قتل ذلك الرّجل بعد أن قال: لا إله إلا الله، وقال له: (أفلا شققت عن قلبه؛ لتعلم أقالها أم لا؟)[4]، مع أن كل القرائن ترجّح أنه قالها مستعيذا من القتل، فهو مشرك قبيل النطق بكلمة التوحيد، وما زال سيفُه يقطر بدم المسلمين، وقد فرّ من المعركة، ولم ينطق كلمة التوحيد إلا حين رأى بريق السّيف، وغير ذلك من القرائن، ومع ذلك فقد أنكر النّبيّ ﷺ قتله، ونبّه على أنّه لا يعلم أحدٌ حقيقة ما في قلبه إلا الله سبحانه وتعالى، ولذلك فالواجب الحكم على الظاهر، والله يتولّى السّرائر[5].

(١) الجامع" لسيّد فضل: (ص:٥٣٩).
(٢) نشرتها "جريدة الرأي العام الكويتية" في مقابلة مع أسامة بن لادن، بتاريخ:١١/ ١١/ ٢٠٠١م.
(٣) العواصم والقواسم في الذّبّ عن سنة أبي القاسم": (٢/ ١٥٢).
(٤) لإمام مسلم، صحيح مسلم ١/ ٩٦: رقم الحديث ١٥٨.
(٥) فتح الباري" للحافظ ابن حجر العسقلاني: (١٢/ ١٩٦).

وقد خالف خوارج العصر هذا المسلك النّبويّ، وخرقوا إجماع المسلمين، فتراهم يكفّرون المسلمين حكّاما ومحكومين؛ اعتمادا على مجرّد القرائن، مثلما سنّ لهم مُقدَّمُهم ذو الخويصرة هذه السنّة السيّئة، فاتّهم النبيّ ﷺ بالقرائن المتوهّمة السّاقطة الضّعيفة الواهية بأنه ما أراد بقسمته وجه الله تعالى، وكأنه شقّ على صدره.

والخوارج في عصرنا حين علموا أن الحاكم بغير ما أنزل الله تعالى لا لا يحكم عليه بالكفر النّاقل عن الإسلام حتى يكون مستحلّا صاروا يكفّرون حكّام المسلمين بالقرائن، فيحكمون على الحاكم بأنه مستحلّ، أو جاحد، أو مكذّب، أو أنه يرى الحكم بغير ما أنزل الله تعالى أفضل أو مساويا للحكم بشريعة الله تبارك وتعالى، ولو لم يصرّح بما في قلبه، ثم يبنون على ذلك تكفيره عينا، ثم وجوب قتاله ومحاربته والخروج عليه.

ولا شكّ أن هذا من أعظم الجناية على الدّين والدّنيا؛ لأن الحاكم قد يحكم بغير ما أنزل الله تعالى وهو غير مستحلّ، ولا مكذّب، ولا جاحد، ولا يمكن أن ينسب له أيّ شيء من ذلك إلا بتصريحه هو بلسانه بما يعتقده في قلبه، وما ذلك إلا لأن الاستحلال والجحود والتكذيب أمور قلبية لا تعرف بمجرّد مباشرة الحكم بغير ما أنزل الله تعالى، قال العلامة ابن القيم رحمه الله (٧٥١هـ): "فإن المستحلّ للشيء هو الذي يفعله معتقداً حلّه"[1]، فلا يجوز الحكم بالاستحلال على من حكم بغير ما أنزل الله تعالى بمجرّد القرائن.

المطلب الثّامن: سّرّية:

ومن صفات الخوارج وعلاماتهم اتّسام أعمالهم بالسّرية، والاجتماعات المغلقة الخاصّة، والانعزال عن المسلمين، فإنهم إذا اجتمعوا على ضلالتهم، أسرُّوا رأيهم أوّل الأمر، ولا يظهرونه إلا إذا استشعروا شيئا من القوة والمنعَة.

ولهذا أسّس بعض فرق الخوارج المعاصرين تنظيمات سرية خاصّة، مثل التنظيم السّرّي الخاصّ لجماعة الإخوان المسلمين، وأسندوا لها مهاما عسكريّة وإجراميّة، تتمثّل في التفجير والتدمير، وتنفيذ الاغتيالات السياسيّة، والتصفيات الجسديّة لخصومهم من

(١) "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان" لابن القيم: (١/ ٣٤٦).

الحكّام والقضاة والمسؤولين العسكريين.

قال سيّد قطب وهو يتحدّث عن مخطّط سرّي لسلسلة من الاغتيالات والتفجيرات التي كانوا ينوون تنفيذها في القاهرة: "فكّرنا في خطة ووسيلة تردّ الاعتداء باقتراحات تتناول الأعمال التي تكفي لشلّ الجهاز الحكومي عن متابعة الإخوان في حال ما إذا وقع الاعتداء عليهم.... وهذه الأعمال هي الرّدّ فور وقوع اعتقالات لأعضاء التنظيم، بإزالة رؤوس في مقدّمتها رئيس الجمهورية، ورئيس الوزارة، ومدير مكتب المشير، ومدير المخابرات، ومدير البوليس الحربي، ثم نسف لبعض المنشآت التي تشلّ حركة مواصلات القاهرة، لضمان عدم تتبع بقية الإخوان فيها وفي خارجها، كمحطّة الكهرباء والكباري، وقد استبعدت فيما بعد نسف الكباري كما سيجيء"[1].

وقال أيمن الظواهري زعيم عصابة القاعدة في وهو يثني على سيّد قطب: "فقد كان للأستاذ سيّد قطب والمجموعة الملتفّة حوله فضل كبير بعد فضل الله في مجالين: المجال العمليّ حيث قرّرت المجموعة الملتفّة حول الأستاذ سيّد قطب أن توجّه ضرباتها ضدّ النظام القائم باعتباره نظاما معاديا للإسلام، رافضا للتحاكم إلى شرعه..."[2].

وقد حظي سيد قطب بثناء كبير من أرباب الفكر التكفيري الخارجيّ المعاصر، إذ اعتبروه رمزا من رموزهم، فهذا أبو مصعب السّوري أحد أكبر منظّري خوارج العصر يقول: "ولكنّ رائد الفكر الجهادي في العصر الحديث بلا منازع، والذي يعود لأفكاره ميلاد منهج التفكير ونظريّات الحركة في التيّار الجهادي المعاصر كان بلا شك الأستاذ الشهيد المعلّم سيد قطب رحمه الله...فقد ضمّ كتابه (في ظلال القرآن) وهو تفسير حركي لآيات القرآن الكريم في ضوء ما نقله المفسّرون من الآثار خلاصة الحركات النظريّة للفكر الجهادي المعاصر، وخلاصة ما أراد سيّد طرحه من مفاهيم، وكان كتابه (معالم في الطريق) هو الأهمّ على صغر حجمه، وحوى خلاصة ذلك الفكر وطروحاته الجهادية الانقلابية الثورية، وكوّنت مكتبته الواسعة من الكتب الأخرى من مثل كتاب (خصائص

(١) "لماذا أعدموني": (ص:٣٦).

(٢) "فرسان تحت راية نبيّ": (ص:١١)

التصوّر الإسلامي)، و(هذا الدين)، و(جاهليّة القرن العشرين)[1]، وغيره، منهجا متكاملا لفكر جهاديّ حركي معاصر يناسب تلك المرحلة"[2].

المطلب التّاسع: خروج على ولّاة الأمور:

من أبرز صفات الخوارج الخروج على ولّاة الأمور، ولو كان وليّ الأمر من كان صلاحا وعدلا وسبقا في الإسلام ونصرةً للدين، فهذا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ابنُ عمّ رسول الله ﷺ، وصهرُه، ورابعُ الخلفاء الرّاشدين، وأحد المبشّرين بالجنّة، ولم يرضوا بسيرته، وحكمه، فكيف يرضون بمن هم دونه بمراتب؟

وقد عدّ أئمّة السّلف خروج الخوارج على الولّاة والأمراء من قبيل نقض عهد الله عزّ وجلّ، ونزّلوا فيهم قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾[الرّعد:٢٥].

أخرج الإمام البخاريّ عن مصعب بن سعد، قال: سألت أبي: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴾ [الكهف: ١٠٣]: هم الحرورية؟ قال: "لا هم اليهود والنصارى، أما اليهود فكذبوا محمدا ﷺ، وأما النصارى فكفروا بالجنة، وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب، والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه"، وكان سعد يسميهم الفاسقين[3].

ويستفاد من هذا الأثر أنّ أئمة السّلف من الصّحابة رضي الله عنهم كانوا يعدّون الخوارج ممّن ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، وكانوا يسمُّوهم الفاسقين، وما ذلك إلا لأنّهم خرجوا على جماعة المسلمين، وفرّقوها، وخلعوا بيعة ولاة المسلمين وحكّامهم، ونزعوا أيديهم من الطّاعة، وتحزّبوا على غير إمام المسلمين، وخالفوا بذلك وصايا النّبي

(١) كذا في الأصل؛ نسب هذا الكتاب لسيّد قطب، والصواب أنه لشقيقه محمد قطب.

(٢) "دعوة المقاومة الإسلامية العالمية" لأبي مصعب السّوري: (ص:٦٩٢).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: ٦٥- كتاب تفسير القرآن، باب قل هل ننبّئكم بالأخسرين أعمالا، رقم الحديث: (٤٧٢٨).

ﷺ بلزوم الجماعة، فاستحقّ الخوارج بذلك أن يوصفوا بأنّهم من الفاسقين، وصدق سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه فهم الفاسقون.

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله (ت:٧٢٨هـ): "وكان سعد يقول: الخوارج من ﴿ الْفَاسِقِينَ ﴾، ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾، ولم يكن علي وسعد وغيرهما من الصحابة يكفِّرونهم"[1].

فالخوارج لا يتورّعون عن الخروج على ولاة الأمور، ومفارقة الجماعة، فقد خرج أوائلهم على جماعة المسلمين، بل تديّنوا بالخروج على ولاة أمور المسلمين، قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله (١٤٢٠هـ): "فقد نبتت نابتة من الشباب المسلم، لم يتفقّهوا في الدين إلا قليلاً، ورأوا أن الحكام لا يحكمون بما أنزل الله إلا قليلاً، فرأوا الخروج عليهم دون أن يستشيروا أهل العلم والفقه والحكمة منهم، بل ركبوا رؤوسهم، وأثاروا فتناً عمياء، وسفكوا الدماء، في مصر، وسوريا، والجزائر، وقبل ذلك فتنة الحرم المكي، فخالفوا بذلك هذا الحديث الصحيح؛ الذي جرى عليه عمل المسلمين سلفاً وخلفاً؛ إلا الخوارج"[2].

والخروج على الحكّام عند الخوارج والجماعات والأحزاب له صور كثيرة منها تكفير الحكام ومباشرة الخروج عليهم بالسّلاح، ومنها ذكر مثالبهم وعيوبهم وأخطائهم، وتهييج الدّهماء عليهم، والدّعاء عليهم، وعدم توقيرهم واحترامهم، ومنها الخروج على الولاة بالانقلابات والإضرابات والاعتصامات والمظاهرات سلمية كانت أو غير سلمية، وتجويزها، وتجويز الخروج على الحكام، فكل هذا من مظاهر وصور الخروج، إذ لا يشترط في الخروج أن يكون بقتال الحكام بالسّلاح فحسب.

هذا؛ وقد قرّر العلماء أن الخوارج أخطر على المسلمين من الولاة الظّلمة، ولذلك أمر النبيّ ﷺ بقتال الخوارج؛ بينما أمر بالصبر على جور الحكام؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولهذا اتّفق أئمّة الإسلام على أن هذه البدع المغلّظة شرّ من الذّنوب التي يعتقد أصحابها أنها ذنوب، وبذلك مضت سنة رسول الله ﷺ؛ حيث أمر بقتال الخوارج عن

(١) مجموع الفتاوى: (١٦/ ١٧٣).

(٢) "سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها": (٧/ ١٢٤١).

السنة، وأمر بالصبر على جور الأئمة وظلمهم، والصلاة خلفهم مع ذنوبهم، وشهد لبعض المصرّين من أصحابه على بعض الذنوب أنه يحب الله ورسوله، ونهى عن لعنته، وأخبر عن ذي الخويصرة وأصحابه -مع عبادتهم وورعهم- أنهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية"[1].

ولكن أنّى لخوارج العصر من أرباب الأحزاب والجماعات؛ الذين يشعلون نيران الفتن؛ ويحرّضون على الثورات؛ أن يفهموا بأنهم هم في ميزان الكتاب والسنة أشرّ على المسلمين من الحكام الظلمة؛ الذين يريدون -بزعمهم الكاذب- تخليص الأمة منهم.

المطلب العاشر: التشهير بمثالب ولاة الأمور وأخطائهم:

من انحرافات الخوارج المشتركة بينهم قديما وحديثا الإنكار على ولاة الأمور جهرا، وقد أمر النبي ﷺ بإسرار الإنكار على الحكام، وأمر بتعاهدهم بالنّصح سرا، ونهى عن ذكر مثالبهم، والتشهير بعيوبهم وأخطائهم.

وقد ورث خوارج العصر هذه الصفة من أسلافهم، فتراهم يسبّون الحكام على المنابر وفي شاشات القنوات وفي الجرائد والإذاعات، ويدعون إلى المظاهرات والاعتصامات والإضرابات والثورات، ولا يراعون ضوابط التعامل مع الحاكم في الإسلام[2].

وجميع هذه السّلوكات أعمال محرّمة في الإسلام، مصادِمة لضوابط التعامل مع الحاكم في الكتاب والسنة وهدي سلف الأمّة، وذلك لما ينجم عنها غالبا من تأليب العامّة، وإثارة الرّعاع، وإشعال الفتن، ومن رأى من أميره شيئا فعليه بالنّصح سرّا، كما نطقت بذلك النّصوص النبويّة وشهدت الآثار السّلفيّة؛ فقد قال رسول الله ﷺ: (من أراد أن ينصح لسلطان بأمر، فلا يُبدِ له علانية، ولكن ليأخذ بيده، فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدّى الذي عليه له)[3].

---

(١) "مجموع الفتاوى": (٢٨/ ٤٧١).

(٢) راجع في موضوع ضوابط التعامل مع الحكام كتاب: "ضوابط معاملة الحكام في الكتاب والسنة"، للشيخ عبد السلام بن برجس العبد الكريم رحمه الله، فقد أجاد وأفاد.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في "المسند": رقم: (١٥٣٣٣)، وصححه الشيخ الألباني في "ظلال الجنة في تخريج السنة": رقم: (١٠٩٦).

المطالب الحادي عشر: الافتيات على ولّاة الأمور:

من علامات الخوارج وانحرافاتهم في القديم والحديث الافتيات على ولّاة الأمور، والتقدّم بين أيديهم في شؤونٍ لا يحيطون علما بتفاصيلها، ومراميها، ومقاصدها، والطّعن في نواياهم، واتّهام مقاصدهم، وكأنّهم نقّبوا على قلوبهم، أو شقّوا صدورهم، ورميهم بالظلم والجور والعظائم.

ولا يعرف الخوارج قديما وحديثا شيئا اسمه الاعتذار لولّاة الأمور، وأنهم قد يتصرّفون تصرفات يكون ظاهرها في نظر الرّعيّة الخطأ، ولكن حقيقتها الصّواب المحض، ولا يرى الخوارج أنّ لولّاة الأمور مسوّغات وأعذارا لا يستطيعون الإفصاح عنها في أكثر الأحيان، وما ذلك إلا حفظا لأسرار الدولة، ودحرا لتربّص الأعداء، فكلّ هذه القضايا مُغفلة في فكر الخوارج المنحرف.

وقد قرّر العلماء وجوب التماس المعاذير لولاة الأمور في تصرّفاتهم في شؤون الحكم، قال الإمام الطرطوشي رحمه الله (٥٢٠هـ): "كان العلماء يقولون:...وأقيموا عذر السّلطان؛ لانتشار الأمور عليه، وكثرة ما يكابده من ضبط جوانب المملكة، واستئلاف الأعداء، وإرضاء الأولياء، وقلّة النّاصح، وكثرة التّدليس والطّمع"[1].

والخوارج لا يصدّقون ولّاة أمور المسلمين؛ ولا يثقون في كلامهم، ولو برّروا تصرّفاتهم في الأموال وشؤون الحكم بمبرّرات واقعية ومقبولة، ولذلك سكت الناس جميعا في خبر ذي الخويرة رأس الخوارج عندما أوضح النّبي ﷺ أنه إنما قسم الغنائم على أولئك النّفر تأليفا للقلوب؛ إلا ذا الخويصرة رأس الخوارج فلم يصدّق؛ ولم يقتنع؛ فجاء يعترض، ويسيء الأدب، ويتّهم سيّد الخلق ﷺ في نيّته، ويكذّبه في قوله، ويخوّنه في قسمته، وهكذا هم الخوارج قديما وحديثا؛ يحسبون أنه لا يفهم الواقع؛ ولا يعرف الحقوق إلا هم.

كما أن أول المخالفات الشّرعية ظهورا في باب الإمامة ظهرت على يد الخوارج، وهي الاعتراض على ولاة الأمور في تصرّفاتهم في شؤون الحكم، قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله: "والمقصود أن الخوارج سنّوا في الإسلام سنة سيئة، وجعلوا الخروج

(١) "سراج الملوك" للطرطوشي: (ص:٤٨).

على حكام المسلمين ديناً على مرّ الزمان والأيام، رغم تحذير النبي ﷺ منهم في أحاديث كثيرة"[1].

المطلب الثّاني عشر: اتّهام الحكّام بالجور والمطالبة بالعدالة:

شعار الخوارج في كل عصر ومِصر هو اتّهام الحكّام والولّاة بالجور والمطالبة بالعدالة، فهذا رأسهم ذو الخويصرة، يقول لأعدل الخلق ﷺ (اعدل)، واتهام ولاة الأمور بالظلم والجور ومطالبتهم بالعدالة هو شعار الخوارج وغايتهم في كل زمان ومكان.

ولذلك ترى كثيرا من الخوارج في هذا العصر يبالغون في هذه القضيّة، ويدندنون حولها وكأنّها ركن من أركان الدين، ولا يكفّون عن إثارتها ولو كان الحاكم الذي يطالبونه بالعدالة ويؤلّبون عليه العامّة مشهودا له بالعدل والصلاح والسّبق في خدمة الإسلام والمسلمين.

ولذلك ظهر الخوارج في حقب زمنيّة مشهود لها بتحقيق العدالة، فقد ظهروا في حكم عمر بن عبد العزيز رحمه الله على عهد الدّولة الأمويّة، ولم يرضوا بعدالته وسيرته، وثبت أنّ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم ناظرهم وفنّد دعاواهم الكاذبة[2].

يوضح ذلك أنه لو كانت غيرة الخوارج على الإسلام صادقة سليمة من الشوائب الخارجية الأخرى لأبدوا رضاهم عن بعض الحكومات التي تطبّق الشريعة الإسلامية كالمملكة العربية السعودية، فهذه الدولة كما يشهد تاريخها تأسّست على العقيدة الإسلامية السّلفيّة الصّحيحة، ويحرص حكامها منذ زمن الملك المؤسِّس عبد العزيز آل سعود رحمه الله وزمن من قبله على العمل بالشريعة في جميع مجالات الحياة، وينصّ دستورها على أن الدولة تستمدّ أنظمتها من الكتاب والسنة، ومع ذلك فقد كفّر أولئك الخوارج المتطرفون الدولة السعودية وجميع دول المسلمين، ولم يشفع لها عندهم تطبيقها للشريعة، ولا إقامتها للحدود الشرعية، ولا عملها بالحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا غير ذلك من الخيرات التي ترفل في أثوابها المملكة العربية السعودية، حتى ألّف أحد التكفيريين من

(١) "سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها": (٧/ ١٢٤٠).

(2) نقل نصّ هذه المناظرة الإمام ابن عبد البرّ في "جامع بيان العلم وفضله": (٢/ ٩٦٦).

الخوارج المعاصرين وهو أبو محمّد المقدسي كتابا سمّاه: "الكواشف الجليّة في كفر الدولة السعودية".

المطلب الثّالث عشر: هجر المساجد والجمع والجماعات:

من الضّلالات المشتركة بين الخوارج قديما وحديثا هجر الجُمُعَ والجماعات، فالخوارج الأوائل كانوا لا يصلّون مع جماعة المسلمين التي يؤمّها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وإنما اتّخذوا لأنفسهم جماعة أخرى في مكان آخر، يصلّون فيه وحدهم دون جماعة المسلمين.

وهجر الجمع والجماعات من أبرز صفات الخوارج قديما وحديثا، حتى إن أحد منظّريهم المعاصرين وهو سيّد قطب كان لا يصلي الجمعة مع المسلمين؛ لأنه يرى سقوط وجوبها؛ لعدم وجود الإمام وسقوط الخلافة الإسلاميّة[1] -بزعمه-، وأرشد أتباعه إلى اعتزال المساجد، وسمّاها معابد الجاهليّة، ونصح بالصلاة في البيوت، فهجروا جماعات المسلمين ومساجدهم، كما فعل أسلافهم الأوائل، ولكل قوم وارث.

قال سيّد قطب وهو يرشد أتباعه إلى اعتزال مساجد المسلمين: "اعتزال معابد الجاهلية واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد. تحس فيها بالانعزال عن المجتمع الجاهلي، وتزاول فيها عبادتها لربها على نهج صحيح وتزاول بالعبادة ذاتها نوعاً من التنظيم في جو العبادة الطهور"[2].

المطلب الرّابع عشر: الغدر والخيانة وقتل الرّسل والسفراء:

الخوارج أهل غدر وخيانة، ولذلك لمّا استشار عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في القدوم عليهم ومناظرتهم؛ قال له: "إني أخافهم عليك"[3]، وهذا من فقهه وشدة معرفته بأن الخوارج أهل غدر وخيانة،

(١) "التاريخ السرّي لجماعة الإخوان المسلمين" للأستاذ علي العشماوي: (ص:١١٢).
(٢) "في ظلال القرآن": (٣/ ١٨١٦).
(٣) سبق تخريجه.

ويستحلّون دماء المسلمين، ويقتلون رسل الأمراء والحكّام، وقد قتل الخوارج العصر اليوم سفراء كثير من الدول الإسلامية، وفجّروا السّفارات والممثّليّات.

المطلب الخامس عشر: الجمع بين كثرة العبادة والانحراف عن منهج السّلف:

من صفات الخوارج الأوائل الاجتهاد في البدعة، وتلاوة القرآن بلا تدبّر، وقد أخبر النّبي ﷺ بذلك، وحذّر من الاغترار بصلاتهم وعبادتهم، وطول قيامهم وسجودهم، ما دامت أفكارهم منحرفة عن الكتاب والسنّة بفهم سلف الأمّة، قال النّبي ﷺ: (يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يتلون القرآن كتاب الله ليّنا رطبا لا يجاوز حناجرهم)[1].

ولّما دخل عليهم ابن عبّاس رضي الله عنه لمناظرتهم قال: "فدخلت على قوم لم أر قوما قطّ أشدّ اجتهادا منهم..."[2].

والاجتهاد في العبادة هو شأن جميع أهل البدع؛ فإنه ما ابتدع أحد بدعة إلا أظهر التنسّك والخشوع؛ ليخدع الناس، وقد روي عن الإمام الأوزاعي رحمه الله أنه قال: (بلغني أن من ابتدع بدعة؛ آلفه الشيطان العبادة، وألقى عليه الخشوع والبكاء؛ كي يصطاد به)[3].

وأمّا خوارج العصر من أصحاب الفرق والجماعات والأحزاب فقد جمعوا بين مذمّتين؛ مذمّة الابتداع في الدين وتفريق جماعة المسلمين ومذمّة الزهد في العبادة؛ وقلّة الورع، والمجاهرة بالمعاصي والذّنوب؛ ولهذا يقيم كثير من منظّري خوارج العصر بين الكفار والمشركين في عواصم الدول الغربيّة، وفي الوقت نفسه يكفّرون المسلمين وحكّامهم وبلدانهم.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: ٦٤- كتاب المغازي، باب بعث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وخالد بن الوليد رضي الله عنه قبل حجّة الوداع، رقم: (٤٣٥١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) "الاعتصام" للشاطبي: (١/ ٢١٩).

المطلب السّادس عشر: حداثة السّنّ وسفاهة الأحلام:

من علامات الخوارج حداثة السّنّ، وسفاهة الأحلام، والطيش، والتسرّع، ورداءة العقل؛ وقد أخبر النّبيّ ﷺ بذلك فقال: (قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يحسنون القيل ويسيئون الفعل)[1].

ولهذا يراهن خوارج العصر على صغار السّنّ من الشّباب؛ فيتلقّفونهم في المساجد، والجامعات، والتجمّعات الشبابيّة؛ لأنّهم يدركون أن الشّباب في ذروة الحماسة والعاطفة، وفي أدنى مراتب الحلم والتريّث والأناة، ومن كان هذا حاله سهل على الخوارج اصطياده، وتجنيده، والتأثير عليه.

والمشاهد في واقع الخوارج اليوم أن خفّة عقولهم، وطيشهم يؤدّي إلى قلّة عنايتهم بالعلم، وضعف شبهاتهم وتهافتها، ووهنها كوهن بيت العنكبوت، إذ لو كانوا أصحاب عقول راجحة لما خرجوا على الصّحابة رضي الله عنهم، وكفّروهم، والصّحابة رضي الله عنهم أعلم الخلق آنذاك، وليس في الخوارج من يساوي شعرة في صدر واحد من أولئك الأخيار رضي الله عنهم.

المطلب السّابع عشر: الجهل بالدّين:

من علامات الخوارج وانحرافاتهم في القديم والحديث أنهم أهل جهل بالدِّين، وقلّة فقه لأحكام الشّريعة، إذ جمعوا بين تحريم المباحات والطيّبات، واستباحة الدّماء ومواقعة الموبقات، ولذلك لما أراد ابن عباس رضي الله عنهما أن يثبت لهم جهلهم بالدين؛ ترجّل ولبس أجمل ما لديه من حلل اليمن، وجميع ذلك من المباحات، فأنكروا عليه وقالوا: "ما هذه الحلّة؟"[2].

فالخوارج قديما وحديثا أهل جهل وتسرّع في إصدار الأحكام، دون نظر واجتهاد مؤسّس على قواعد الشّرع المطهّر، فهم أجهل من أن يقرّروا مسائل العلم على طريقة العلماء، قال شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله (٧٢٨هـ): "وأقوال الخوارج إنّما عرفناها من نقل النّاس عنهم؛لم نقف لهم على كتاب مصنّف"[3].

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) "مجموع الفتاوى": (١٣/ ٤٩).

المطلب الثّامن عشر: التنفير من العلماء الموثوقين ونبزهم وتعييرهم:

من انحرافات الخوارج وعلاماتهم التنفير من العلماء والتزهيد في علمهم وقطع طريق الهداية بينهم وبين المغرّر بهم من أتباعهم، ولذلك عدّهم الصحابة رضي الله عنهم من أهل الاستخفاف بشعائر الإسلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم:٦٠].

فقد أخرج الإمام ابن جرير الطّبريّ رحمه الله (٣١٠ه) بسنده عن عليّ بن ربيعة، أن رجلا من الخوارج، قرأ خلف عليّ رضي الله عنه: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾، فقال عليّ: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ ﴾[1].

فالخوارج كانوا يستخفّون بالصّحابة رضي الله عنهم، وهذا ديدنهم وشأنهم في كلّ زمان ومكان، فإنهم يسخرون من العلماء وينبزونهم بالألقاب المنفّرة، ولهذا لما جاء ابن عبّاس لمناظرتهم أرادوا التنفير عنه، وتزهيد أتباعهم في محاورته؛ فقالوا: "لا تخاصموا قريشا فإن الله تعالى يقول: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨]. فقال بعضهم: بلى فَلَنُكَلِّمَنّه. قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: فكلّمني منهم رجلان أو ثلاثة"[2].

وهذه وسيلة من وسائلهم الخبيثة، والتي ما زال الخوارج في العصر الحديث يستعملونها، فيبدؤون أوّل ما يبدؤون بالطعن في العلماء، ووصفهم بالإرجاء والخيانة والجبن والعمالة، وعدم فقه الواقع، وما إليه من التعييرات التي حفظوها من أسلافهم، حتى إذا سقط أولئك العلماء من أعين الشباب، وأوغروا صدورهم عليهم؛ سهل بعد ذلك على الخوارج أن يحشوا أدمغة المغرّر بهم من كل ما هو نتن وخبيث من أفكارهم المسمومة.

قال أبو الأعلى المودودي وهو يطعن في العلماء: "هي دعوة إلى تحقيق التوحيد بجهاد الطّواغيت كلّ الطّواغيت، باللسان والسّنان، دعوة إلى طلب العلم الشرعي من معينه

(١) تفسير ابن جرير الطبري: (٢٠/ ١٢٠).
(٢) سبق تخريجه.

الصافي، وكسر صنميّة علماء الحكومات، بنبذ تقليد الأحبار والرّهبان الذين أفسدوا الدين، ولبّسوا على المسلمين..."[1].

وقال سيد قطب ساخرا من علماء الشّريعة: "والتجارب تجزم بأن الذين لا يندمجون في الحركة بهذا الدين لا يفقهونه مهما تفرغوا لدراسته في الكتب- دراسة باردة! - وأن اللمحات الكاشفة في هذا الدين إنما تتجلى للمتحركين به حركة جهادية لتقريره في حياة الناس ولا تتجلى للمستغرقين في الكتب العاكفين على الأوراق! إن فقه هذا الدين لا ينبثق إلا في أرض الحركة. ولا يؤخذ عن فقيه قاعد حيث تجب الحركة. والذين يعكفون على الكتب والأوراق في هذا الزمان لكي يستنبطوا منها أحكاماً فقهية «يجددون» بها الفقه الإسلامي أو «يطورونه» - كما يقول المستشرقون من الصليبيين! - وهم بعيدون عن الحركة التي تستهدف تحرير الناس من العبودية للعباد، وردهم إلى العبودية لله وحده، بتحكيم شريعة الله وحدها وطرد شرائع الطواغيت..

هؤلاء لا يفقهون طبيعة هذا الدين ومن ثم لا يحسنون صياغة فقه هذا الدين! إن الفقه الإسلامي وليد الحركة الإسلامية.. فقد وجد الدين أولاً ثم وجد الفقه. وليس العكس هو الصحيح"[2].

وقال أبو محمد المقدسي وهو يطعن في العلماء: "ومن ثمّ فلا حاجة للمجاهدين لفقهاء ومنظّرين من خارج صفِّهم، لأن فقهاءهم الذين يوجّهونهم ويتخيّرون لهم الأولى والأنقى والأنكى من الجهاد والقتال، من أفقه الناس وأقواهم بصيرة"[3].

ويقول أبو قتادة الفلسطيني وهو أحد مجرمي الجماعات التكفيريّة المعاصرة: "إن الإرهاب الذي يمارسه مشايخ السّلطان، ثم مشايخ الإرجاء، فعوامّ المسلمين، الذين ينعقون كالببّغوات"[4].

---

(١) "المصطلحات الأربع في القرآن الكريم": (ص:١٤٠).

(٢) "في ظلال القرآن": (٣/ ١٧٣٥).

(٣) "القافلة تسير": (ص:١).

(٤) "مقالات بين منهجين" لأبي قتادة الفلسطيني: مقالة رقم ٣٧، بواسطة "القصة الكاملة لخوارج عصرنا" للشيخ إبراهيم بن صالح المحيميد: (ص:٩٨).

والحقيقة أنّ الخوارج في القديم والحديث يخشون مواجهة العلماء؛ لتيقّنهم بأن العلم والحجة والدليل مع العلماء، لا معهم، وهم يعلمون يقينا أنّهم لو ناظروا العلماء لفضحوهم على رؤوس الأشهاد.

المطلب التّاسع عشر: مخالفة توجيهات العلماء والتزهيد في علمهم:

من علامات خذلان الخوارج قديما وحديثا مخالفتهم للعلماء والتزهيد في علمهم، فقد خالف الخوارج الأوائل الصحابة رضي الله عنهم، وكفّروهم، وقاتلوهم، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله.

ولهذا لمّا لقي الخوارج عبد الله بن خبّاب رضي الله عنه قالوا له: "أنت عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم"[1]، ومع ذلك فقد قتلوه رضي الله عنه، وذلك لأن أهل البدع عموما والخوارج خصوصا لا يحترمون الصّحابة رضي الله عنهم، ولا يُكبِرُونهم، ولا يعرفون قدرهم، ولا يجلّون فيهم ما أكرمهم الله تعالى به من شرف صحبة النّبيّ ﷺ، ولذلك كفّر الخوارجُ الأوائلُ أصحابَ النّبي ﷺ، وخرجوا عليهم وقاتلوهم، وهذا من أبرز علامات شقائهم وضلالهم، نسأل الله السلامة والعافية.

وأمّا خوارج العصر وأرباب الجماعات والأحزاب فقد خالفوا العلماء الموثوقين، ولم يرفعوا رؤوسهم بتوجيهاتهم ونصائحهم، واعتمدوا على فهومهم القاصرة في فهم النصوص الشّرعية، ولم يرجعوا إلى العلماء وأهل الذّكر؛ فضلّوا وأضلّوا.

المطلب العشرون: خلوُّ صفوفهم من العلماء:

من علامات الخوارج قديما وحديثا أنّ صفوفهم خاليةٌ من العلماء، فأما الخوارج الأوائل فلم يكن بينهم واحد من الصحابة رضي الله عنهم، لذلك خاطبهم ابن عبّاس رضي الله عنه بقوله: "أتيتكم من عند أصحاب النبيّ ﷺ المهاجرين والأنصار، ومن عند ابن عمّ النبي ﷺ وصهره، وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم

(١) سبق تخريجه.

منهم أحد، لأبلغكم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون"[1].

وأما خوارج العصر وأرباب الأحزاب والجماعات فليس في صفوفهم عالم ربّاني واحد متّبع لمذهب السّلف، بل إنّك لا تجد عالما من علماء الأمة الراسخين الموثوقين إلا وهو يضلّلهم، ويحذر النّاس من مغبة اتباعهم، والاغترار بكلامهم وشعاراتهم الزائفة.

المطلب الواحد والعشرون: البذاءة والفظاظة وقلّة الأدب:

ومن انحرافات الخوارج التي اتّصفوا بها قلّة أدبهم، وفظاظتهم وبذاءتهم في مخاطبة الصّحابة رضي الله عنهم، ولذلك لم يحترموا عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه حين ناظرهم، وهو حبر الأمة وترجمان القرآن وابن عمّ رسول الله ﷺ، وهذه هي أخلاقهم مع أهل العلم قديما وحديثا.

بل لم يحترم الخوارج النّبيّ ﷺ نفسه، فانظر كيف يخاطِب ذلك المارق ذو الخويصرة رأس الخوارج النبيّ ﷺ، ويسمّيه باسمه، ويتّهمه بالظلم والجور، حين قال –قطع الله لسانه–: "يا محمّد، اعدل، فوالله ما عدلت منذ اليوم، والله إن هذه القسمة ما عُدِل فيها، وما أُريدَ بها وجهُ الله"[2].

وليست هذه الأخلاق الذّميمة حكرا على ذي الخويصرة مقدّم الخوارج فحسب، بل هي صفة مشتركة بين جميع الخارجين من ضئضئه قديما وحديثا، وقد أساء خوارج العصر الأدب مع النّبي ﷺ، ورفعوا أصواتهم فوق صوته، وجهروا بالسّخرية من أحاديثه ﷺ في وجوب السّمع والطّاعة لولّاة الأمور، واستهزؤوا بوصاياه ﷺ في تحريم الخروج على ولاة الجور، ووصفوا العاملين بها من السّلفيين أهل السنّة المحضة بالانبطاح، والتزلّف، والانهزاميّة، والجبن، والإرجاء، والعمالة، والخيانة، والفقه البدويّ، وما إلى ذلك من التعييرات التي نبز بها أسلافهم من الخوارج قديما أئمة الإسلام والسنّة، ولكلّ قوم وارث.

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

المطلب الثّاني والعشرون: تضليل الأتباع والتّلبيس عليهم:

ومن علامات الخوارج وانحرافاتهم المشتركة في القديم والحديث تضليل أتباعهم والتّلبيس عليهم، وقطع الطريق بينهم وبين العلماء حتى لا يكتشفوا ضلالهم وفساد طريقتهم.

ولذلك نفّروا المغرّر بهم من أتباعهم من محاورة ابن عبّاس رضي الله عنهما، إلا أنه كلّمه منهم نفر قليل، فالخوارج في القديم والحديث ليسوا في دركة واحدة من الضّلال والانحراف، فمنهم من أُشْرِبَ قلبه البدعة، ولم يعد قادرا على سماع الذكر والعلم، ومنهم المغرّر بهم، الذين تنفعهم الموعظة والنصيحة، ولذلك رجع هؤلاء الذين أصغوا لابن عباس رضي الله عنهما، وانتفعوا بعلمه، بينما هلك أولئك الذين أعرضوا عنه، وقتلهم المهاجرون والأنصار في موقعة النّهروان.

المطلب الثّالث والعشرون: لبس الحقّ بالباطل:

من انحرافات الخوارج قديما وحديثا أنّهم يتعمّدون لبس الحقّ بالباطل، ومن أمثلة ذلك أن الخوارج الأوائل استدلّوا بآية التحكيم، وهي كلمة حقّ أريد بها باطل، وهو الدّليل نفسه الذي يستدلّ به خوارج العصر، ويسمّونها الحَاكِمِيَّة، التي جعلوها تفسيرا لكلمة التوحيد لا إله إلا الله، وهذه الدعوى الباطلة هي التي أسّس عليها خوارج العصر دعوتهم، وكتب أبي الأعلى المودودي وسيّد قطب مشحونة بهذه النظريّات الفلسفية الباطلة.

وقد بيّن العلماء الربّانيّون صور الحكم بغير ما أنزل الله تبارك وتعالى، وفرّقوا بين ما يكون منها كفرا أكبر ينقل عن ملّة الإسلام، وبين ما هو من الكفر الأصغر الذي لا ينقل عن ملّة الإسلام، وقرّروا أن الحكم بغير ما أنزل الله ليس كفرا على الإطلاق، وأن آية التحكيم ليست على ظاهرها، وشرحوا هذه المسألة بما لا مزيد عليه، فارجع إلى كلام العلماء في هذه القضيّة تسلم وتغنم.

قال الإمام أبو المظفّر السّمعاني رحمه الله (ت:٤٨٩هـ): "واعلم أن الخوارج يستدلّون بهذه الآية، ويقولون: من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر، وأهل السنّة قالوا: لا يكفر بترك الحكم"[1].

(١) "تفسير السمعاني": (٢/ ٤٢).

المطلب الرابع والعشرون: الافتراء على أهل الحقّ بالتّهم الباطلة:

من صفات الخوارج وعلامات انحرافهم توجيه التّهم الباطلة لأهل الحقّ، والافتراء والكذب عليهم، ولذلك كذبوا على أمير المؤمنين عثمان بن عفّان رضي الله عنه وافتروا عليه، وكذبوا على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وافتروا عليه، وكذبوا على الصّحابة رضي الله عنهم وافتروا عليهم.

وأمّا خوارج العصر فيفترون الكذب على علماء السنّة الصّادقين، وينبزونهم بألقاب منفّرة من أجل تزهيد المسلمين في علمهم ونصحهم، فيصفونهم بأنّهم عملاء، وأنهم تابعون للمباحث والمخابرات، وغير ذلك ممّا ورثوه من أسلافهم الخوارج الأوائل حين نبزوا عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه بأنه قرشي خصيم، قالوا: والله تعالى يقول عن قريش: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨]، فسبُّ العلماء وازدراؤهم هو ديدن الخوارج وشأنهم في القديم والحديث.

المطلب الخامس والعشرون: الاعتماد على الاستدلالات الباطلة:

ومن انحرافات الخوارج أنّ جميع شبهاتهم مبنيّة على استدلالات باطلة، تنمّ عن جهلهم بنصوص الكتاب والسنّة، ومعاندتهم لفهم الصّحابة رضي الله عنهم، ولذلك عندما ناظرهم ابن عبّاس رضي الله عنه أفحمهم، وكمَّ أفواههم.

ويتّصف الخوارج كذلك بقصر نظرهم، وعدم قدرتهم على الموازنة بين المصالح والمفاسد، وما ذاك إلا بسبب بعدهم عن منهج السّلف في فهم النّصوص الشرعية، لذلك لمّا أنكروا التحكيم على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه؛ قال لهم عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما: " أما قولكم: حكّم الرجال في أمر الله، فإني أقرأ عليكم في كتاب الله أن قد صيّر الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم (في أرنب)، فأمر الله تبارك وتعالى أن يحكُموا فيه، أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنْ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ [المائدة: ٩٥]، وكان من حكم الله أنه صيره إلى الرجال يحكمون فيه، ولو شاء لحكم فيه،

فجاز من حكم الرجال، أنشدكم بالله أحكم الرجال في صلاح ذات البين، وحقن دمائهم أفضل أو في أرنب؟

قالوا: بلى، هذا أفضل.

قال ابن عبّاس: وقال في المرأة وزوجها: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٣٥] فَنَشَدتكم بالله حُكمُ الرجال في صلاح ذات بينهم، وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بُضْعِ امرأة؟ قال: خرجت من هذه؟ قالوا: نعم"[1].

ومن علامات فساد منهج الاستدلال عند الخوارج اعتمادهم على الإلزامات الباطلة، والأقيسة الفاسدة، ولذلك كانوا يقولون لعبد الله بن عبّاس رضي الله عنهم: "محى عليٌّ نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين"[2].

المطلب السّادس والعشرون: التعلّق بالدّنيا:

ومن علامات انحراف وضلال الخوارج التعلّق بالدّنيا والغنائم والأموال والسّبي، وليس هذا مستغربا فقد اعترض رأس الخوارج ذو الخُوَيْصِرَة على قسمة النبيّ ﷺ للغنائم.

والخوارج قديما وحديثا ما خرجوا ولا يخرجون إلا للدّنيا، ولهذا عندما أتى رجل من الخوارج إلى الحسن البصري رحمه الله؛ فقال له: ما تقول في الخوارج؟ قال: هم أصحاب دنيا، قال: ومن أين قلت؟ وأحدهم يمشي في الرُّمح حتى ينكسر فيه، ويخرج من أهله وولده؟ قال الحسن: حدِّثني عن السّلطان؛ أيمنعك من إقامة الصّلاة؟ وإيتاء الزكاة؟ والحجّ والعمرة؟ قال: لا، قال: فأراه إنّما منعك الدّنيا؛ فقاتلته عليها.

فاسألوا أرباب الجماعات والحزبيّات من خوارج العصر الذين فرّقوا جماعة المسلمين، وخرجوا على ولّاة أمورهم؛ أمنعوكم من الصّلاة، والزّكاة، والحجّ، والعمرة؟ وإنما نراهم منعوكم من القصور الرّئاسية، والحقائب الوزارية، والحسابات البنكيّة؛ لأنهم يعلمون يقينا أنكم خونة لأوطانكم عملاء للكفّار وأعداء الإسلام؛ وأنكم مطاياهم لتدمير

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

الأقطار الإسلاميّة وتمزيقها؛ فقاتلتموهم لأجل الدّنيا، وأجّجتم الثورات، وسفكتم الدماء، واستبحتم الأعراض، وألبستم تلك الجرائم لبوس الدين، والدين من ضلالكم براء.

المطلب السّابع والعشرون: سفك الدّماء المعصومة:

من انحرافات الخوارج أنّهم لا يتورّعون من سفك الدماء، ولو كانت دماء الصحابة رضي الله عنهم ودماء أبنائهم البررة، ولذلك نزّل فيهم أئمّة السّلف رحمهم الله قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللهَّ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَّ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[فاطر:٨].

قال الإمام السّمعاني: "والقول الثاني: أن الآية نزلت في أهل الأهواء والبدع...وعن قتادة: أنه قال: منهم الخوارج الذين يستحلّون الدِّماء والأموال، قال: وأما أهل الكبائر فليس منهم؛ لأنهم لا يستحلون الكبائر"[1].

وإنّ في اغتيال الخوارج لعبد الله بن خبّاب رضي الله عنه دليلا ساطعا على ضلال الخوارج وسوء عاقبتهم في الدّنيا والآخرة، إذ كيف يقتلون رجلا يحدّثهم بحديث سمعه عن أبيه عن رسول الله ﷺ، ولو كان عند الخوارج مسكة من عقل للاحت لهم أدنى شبهة بأنه مؤمن؛ فتحجزهم عن تكفير عبد الله بن خبّاب رضي الله عنه، واستباحة دمه، فهو مسلم، ينطق بالشّهادتين، وهو يعيش بين المسلمين، وهو يروي الأحاديث عن رسول الله ﷺ، ولا يُعلم أنه أتى بما يستحلّون به دمه من ردّة، أو قتل نفس بغير حقّ، أو زنا بعد إحصان، ولم يأت بكفر ظاهر، بل ولا يُعرف له معصية ظاهرة.

ووالله إنّه لا ينقضي عجب العاقل من هؤلاء الخوارج الذين اغتالوا عبد الله بن خبّاب رضي الله عنه؛ كيف لم تلُح لهم شبهة ولو ضعيفة بأن هذا الرجل مسلم؛ فتحجزهم عن قتله، واستباحة دمه؟ ولكنّه الهوى عندما يتجارى بالخوارج كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه.

(١) تفسير السّمعاني: (٤/ ٣٤٧).

وعلى هذا المسلك المردي سار خوارج العصر كعصابة داعش الإجراميّة فإنهم يقتلون الرجل ويهدرون دمه، وهم يعلمون أنه من المسلمين المصلّين، ولا يقيمون وزنا لقواعد الإسلام في هذا الباب من مثل قاعدة "من ثبت إسلامه بيقين؛ لم يحكم بزواله عنه إلا بيقين"، ومن مثل قاعدة "ليس كلّ من وقع في الكفر؛ وقع الكفر عليه".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وإذا عرف هذا؛ فتكفير المعيّن من هؤلاء الجهال وأمثالهم - بحيث يحكم عليه بأنه من الكفار - لا يجوز الإقدام عليه إلا بعد أن تقوم على أحدهم الحجة الرسالية، التي يتبين بها أنهم مخالفون للرسل، وإن كانت هذه المقالة لا ريب أنها كفر، وهكذا الكلام في تكفير جميع المعينين"[1]، وقال أيضا: "وليس لأحد أن يكفّر أحدا من المسلمين؛ وإن أخطأ وغلط؛ حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين، لم يزل ذلك عنه بالشك؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة"[2].

ولّما كان الخوارج الأوائل يقتلون النّساء، ولا يتورّعون من ذلك، فقد استحلّ خوارج العصر أيضا قتل نساء وأطفال المسلمين في كثير من أقطار المسلمين كما هو مشاهد معلوم.

المطلب الثّامن والعشرون: تقصّد الوحشية في قتل المسلمين:

من انحرافات الخوارج وضلالهم تقصّدهم الوحشية في قتل المسلمين، فالخوارج الأوائل تعمّدوا اغتيال الصّحابة والتّابعين رضي الله عنهم بوحشية، فكانوا يتعمّدون حزّ رقاب خيار الخلق، والتمثيل بجثثهم، وبقر بطون محارمهم، قال راوي قصّة اغتيال الخوارج لعبد الله بن خبّاب رضي الله عنه: (فأخذوه وأمَّ ولده، فقدّموه على ضفّة النّهر، فضربوا عُنُقه؛ فذبحوهما في النّهر جميعا على شطّ النّهر، قال: فأخذوا أمّ ولده فقتلوها، وكانت حُبلى فَبَقَرُوا بطنَها)[3].

(١) مجموع الفتاوى: (١٢/ ٥٠٠).
(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: (١٢/ ٤٦٦).
(٣) سبق تخريجه.

فانظر إلى هذه الوحشية في قتل خيار الخلق مع أن النّبيّ ﷺ لا يقرّ هذه السلوكات الإجراميّة حتى في قتال الكفّار الأصليين من المشركين واليهود والنّصارى.

وأما خوارج العصر كعصابة داعش وعصابة القاعدة فإن بشاعة جرائمهم في قتل المسلمين ماثلة مشاهدة يعرفها ويراها كلّ صغير وكبير من أبناء المسلمين.

المطلب التّاسع والعشرون: الرّغبة في الانتقام:

ومن علامات ضلال وانحراف الخوارج أنه كان يسيطر عليهم الهوى والرّغبة في الانتقام من الصّحابة رضي الله عنهم وإلا فلماذا يقتلون أمّ ولد عبد الله بن خبّاب رضي الله عنه ويبقرون بطنها؟ وما ذنبها؟ فإذا كان زوجها مرتدّا حلال الدّم -بزعمهم- فبماذا كفّروها، واستباحوا دمها، وهي حبلى متمّ؟

والحقيقة أنه لا جواب لهذه التساؤلات سوى أن الحقد والرغبة في الانتقام من الصحابة رضي الله عنهم أعمى أبصارهم وبصائرهم.

ولذلك نزّل بعض أئمّة السّلف رحمهم الله على الخوارج قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[آل عمران:١١٩].

أخرج الإمام ابن أبي حاتم الرّازي رحمه الله (٣٢٧هـ) في تفسيره[1] بسنده قال: كان أبو الجوزاء إذا تلا هذه الآية ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾، قال: هم الإباضيّة[2]، والإباضيّة فرقة من فرق الخوارج.

ويستفاد من هذا الأثر أنّ قلوب الخوارج ممتلئة غيظا على المؤمنين المتّقين، والخوارج

(١) تفسير ابن أبي حاتم: (٣/ ٧٤٦).

(٢) الإباضيّة: قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على هذا الأثر في تفسير الطّبري: (٧/ ١٥٢): "الإباضية فرقة من الحرورية، وهم أصحاب عبد الله بن إباض التميمي، الخارج في أيام مروان بن محمد، ومن أقوالهم: إن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين، ومناكحتهم جائزة، وموارثتهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال، وما سواه حرام، وإن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد، وقالوا: إن مرتكب الكبيرة موحد، لا مؤمن".

أيضا أهل تلوّن، وأصحاب وجوه، فإنّهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.

وأمّا الرّغبة في الانتقام عند خوارج العصر فاسمع كيف يتحدّث سيّد قطب عن مخطّطاته في قتل الرّؤساء والمسؤولين بكلام يقطر غيظا وحنقا ودمويّة ووحشيّة؛ فهو القائل: "وهذه الأعمال هي الردّ فور وقوع اعتقالات لأعضاء التنظيم بإزالة رؤوس في مقدّمتها رئيس الجمهورية، ورئيس الوزارة، ومدير مكتب المشير، ومدير المخابرات، ومدير البوليس الحربي، ثم نسف لبعض المنشآت التي تشلّ حركة مواصلات القاهرة؛ لضمان عدم تتبع بقية الإخوان فيها، وفي خارجها، كمحطة الكهرباء والكباري (الجسور)، وقد استبعدت فيما بعد نسف الكباري (الجسور) كما سيجيء"[1].

واقرأ ما يقوله أشقى القوم فارس الزّهراني عن هيئة كبار العلماء في المملكة العربيّة السّعوديّة: "إن هذه الدولة السعودية للسقوط أقرب منها للبقاء، وإني واثق أن سَحْلَ هؤلاء قد اقترب، فمن كان منكم شانقا لأحد منهم، أو ساحبا، فليبدأ بأعضاء هيئة كبار العملاء، وليحدّ أحدكم شفرته"[2].

المطلب الثّلاثون: استحلال نساء وأموال أهل القبلة:

ومن انحرافات الخوارج قديما وحديثا استحلالهم نساء أهل القبلة بدعوى أنهنّ سبايا، ويستحلّون أموال أهل القبلة بدعوى أنّها غنائم، وهذا شائع معروف في جرائم خوارج العصر، وحصل في كثير من البلدان الإسلاميّة.

ونظير ذلك ما قاله الخوارج الأوائل لعبد الله بن عبّاس رضي الله عنه: "وأما الثّانية، فإن عليّا قاتل، ولم يسبِ، ولم يغنم، إن كانوا كفارا لقد حلّ سباهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حلّ سباهم ولا قتالهم.

فقال لهم ابن عبّاس رضي الله عنهما: وأما قولكم قاتل ولم يَسْبِ، ولم يَغنَمْ، أَفتَسْبُون أُمَّكم عائشة؟ تستحلّون منها ما تستحلّون من غيرها، وهي أمّكم؟ فإن قلتم: إنا نستحلّ منها ما نستحلّ من غيرها؛ فقد كفرتم، وإن قلتم: ليست بأمّنا؛ فقد كفرتم: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى

(١) "لماذا أعدموني؟": (ص:٣٩).

(٢) "ما أريكم إلا ما أرى" لفارس الزهراني: (ص:١٠).

بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦] فأنتم بين ضلالتين، فأتوا منها بمخرج، أفخرجت من هذه؟ قالوا: نعم"[1].

ولقد قام خوارج العصر في كثير من أقطار المسلمين بمداهمة الأرياف والقرى والمداشِر النّائية؛ وسبوا النّساء المسلمات الحرائر، واغتصبوهنّ عنوة على اعتبار أنّهنّ سبايا -بزعمهم-.

ولّما كان الخوارج كذلك فقد نزّل فيهم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنْ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[المائدة: ٣٣].

فقد روى الإمام ابن كثير رحمه الله بسنده عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال: نزلت في الحروريّة: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً ﴾، وقال: "رواه ابن مردويه"[2].

ويستفاد من هذا الأثر أنّ الصّحابة رضي الله عنهم كانوا يعتبرون الخوارج من أهل الحرابة الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا.

المطلب الواحد والثّلاثون: الورع الكاذب على خلاف السنّة:

الخوارج في القديم والحديث أصحاب ورع كاذب على خلاف السنة، فهم يتورّعون عن الصغائر بل المباحات كأكل تمرة، وضرب خنزير ذمّيّ، ويتجرّؤون على اقتراف الكبائر واستباحة الدّماء المحرّمة المعصومة، بل دماء الصّحابة رضي الله تبارك وتعالى عنهم.

ولذلك جاء في قصّة اغتيال الخوارج لعبد الله بن خبّاب رضي الله عنه ما نصّه: " فأخذوه فانطلقوا به فمرُّوا على تمرةٍ ساقطةٍ من نخلةٍ؛ فأخذها بعضهم فألقاها في فمه، فقال له بعضهم: تمرةُ مُعَاهَد فبم استحللتها؟ ثم مرُّوا على خنزير فَنَفَحَهُ (ضَرَبَه) بعضُهم

(١) سبق تخريجه.

(٢) تفسير ابن كثير: (٣/ ٩٥).

بسيفه؛ فقال بعضهم: خنزير معاهد، فَبِمَ استَحْلَلْته؟ قال عبد الله بن خبّاب: أفلا أدلُّكم على من هو أعظم حرمةً عليكم من هذا؟ قالوا: نعم. قال: أنا"[1].

المطلب الثّاني والثّلاثون: التناقض والاضطراب:

التناقض والاضطراب صفة من صفات الخوارج قديما وحديثا، وقد أثبت لهم ذلك عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه حين ناظرهم، وألزمهم باختيار أحد قولين، كلاهما باطل بإقرارهم، فقال لهم: "وأما قولكم قاتل ولم يَسْبِ، ولم يَغنَمْ، أَفَتَسْبُون أُمَّكم عائشة؟ تستحلّون منها ما تستحلّون من غيرها، وهي أمّكم؟ فإن قلتم: إنا نستحلّ منها ما نستحلّ من غيرها؛ فقد كفرتم، وإن قلتم: ليست بأمّنا؛ فقد كفرتم: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾[الأحزاب: ٦]، فأنتم بين ضلالتين، فأتوا منها بمخرج، أفخرجت من هذه؟ قالوا: نعم"[2].

ومن أغرب ما وقع فيه خوارج العصر من الاضطراب والتناقض تصريحهم بتكفير حكّام المسلمين ووجوب إسقاطهم والانقلاب عليهم بسبب عدم إقامتهم للحاكمية؛ هذا من جهة، ومن الجهة المعاكسة قولهم بأنّ النّصراني أو القبطي إذا فاز في الانتخابات الدّيمقراطية في بلاد المسلمين؛ فإنه يجوز له أن يكون حاكما للمسلمين، وتصحّ إمامته، فسبحان الله؛ أين يُذهب بعقول هؤلاء، وما أشدّ رداءة عقول خوارج العصر، وشدّة اضطرابهم وتناقضهم.

المطلب الثّالث والثّلاثون: سوء العاقبة:

من علامات انحراف الخوارج سوء عاقبتهم في الدنيا والآخرة، وذلك أنهم قُتِلُوا على أيدي المهاجرين والأنصار، ولم يختلف الصحابة رضي الله عنهم في قتالهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن الخوارج: "وقد قاتلهم أصحاب النبي ﷺ مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فلم يختلفوا في قتالهم كما اختلفوا في قتال الفتنة يوم الجمل

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.

وصفّين..."[1].

وقد توعّد النبيّ ﷺ الخوارج بالقتل كقتل عاد وثمود، فقال:(فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة، لئن أنا أدركتهم لأقتلنّهم قتل عاد وقتل ثمود)[2].

وبشّر النّبي ﷺ بأن الخوارج يقتلون شرّ قتلة؛ وأنهم لا يمكّنون أبدا؛ ولا تقوم لهم قائمة؛ ولا دولة؛ ولا راية؛ وأنه كلما خرج لهم قرن قطع، فقد ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ عن الخوارج: (كلما خرج قرن قطع، قالها أكثر من عشرين مرة)[3].

ومن علامات سوء عاقبة الخوارج في الدنيا أن كثيرا ممن يتأثّرون بالخوارج عندما يفارقونهم؛ يعمدون إلى رواية شهاداتهم، ويتحدّثون عما عاينوه عند الخوارج من الوحشية والظلم، وما وقفوا عليه من الانحراف والضلال، كما فعل هذا الرجل الذي كان مع الخوارج الأوائل ثم فارقهم، وروى قصة اغتيالهم لعبد الله بن خبّاب رضي الله عنه.

وهذا أمر مشاهد معلوم عند خوارج العصر أيضا فإن كثيرا من رؤسائهم ومنظّريهم كتبوا مذكّراتهم وسيرهم الشخصية، واعترفوا فيها بكثير من الجرائم البشعة التي ارتكبوها، والاغتيالات الغادرة التي خطّطوا لها، ونفّذوها؛ فبعضهم يعترف بأنهم خطّطوا لاغتيال فلان وفلان من الرؤساء والوزراء والقضاة والعلماء والمفتين والعسكريين، وبعضهم يعترف بأن رؤساء جماعتهم مخترقين من قبل منظمات صهيونية وماسونية، وبعضهم يعترف بأن كتاباتهم تنضح بتكفير المسلمين، وبعضهم يعترف بأن جماعتهم سلكت مسلك الخوارج الأوائل في كثير من أدبيّاتها، وبعضهم يعترف بأنهم كانوا يسوّغون بأن تقوم جهة من جماعتهم بالتدمير والاغتيال، وتقوم جهة أخرى منهم بالتنديد والإنكار من أجل التمويه والتعمية على القضاة والمسؤولين، وهذا هو ديدن الخوارج، فهم في أمر مريج من الباطل والضلال، نسأل الله السّلامة والعافية.

---

(١) "مجموع الفتاوى": (٣/ ٣٤٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه: كتاب الإيمان وفضائل الصحابة، ١٢- باب في ذكر الخوارج، رقم: (١٧٤)؛ وصححه الشيخ الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها": رقم: (٢٤٥٥).

المطلب الرّابع والثّلاثون: اتّباع المتشابه:

اتّباع المتشابه وادٍ من أودية الضلال والانحراف عند الخوارج في القديم والحديث، قال الحسن البصري رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾[آل عمران:٧]: "هم الخوارج"(١).

وأخرج الإمام عبد الرزّاق الصّنعاني رحمه الله في تفسيره بسنده أنّ قتادة رحمه الله كان إذا قرأ هذه الآية: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾[آل عمران:٧]؛ قال: "إن لم تكن الحروريّة(٢) أو السبئيّة(٣)، فلا أدري من هم، ولعمري لقد كان في أصحاب بدر والحديبية الذين شهدوا مع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار خبرٌ لمن استخبر، وعبرةٌ لمن اعتبر، لمن كان يعقل أو يُبصِرُ.

إنّ الخوارج خرجوا، وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذ كثير، بالمدينة، وبالشام، وبالعراق، وأزواجه يومئذ أحياء، والله إنْ خرج منهم ذكر ولا أنثى حروريًّا قطّ، ولا رضوا الذي هم عليه، ولا مالؤوهم فيه، بل كانوا يحدِّثون بعيب رسول الله ﷺ إيّاهم، ونعته الذي نعتهم به، وكانوا يُبغضونهم بقلوبهم، ويعادونهم بألسنتهم، وتشتدّ والله أيديهم عليهم إذا لقوهم.

ولعمري لو كان أمر الخوارج هدى لاجتمع، ولكنّه كان ضلالة فتفرّق، وكذلك الأمر إذا كان من عند غير الله وجدت فيه اختلافا كثيرا.

فقد ألاصوا(٤) هذا الأمر منذ زمان طويل، فهل أفلحوا فيه يوما قطّ، أو أنجحوا؟ يا سبحان الله، كيف لا يعتبر آخر هؤلاء القوم بأوَّلهم؟ إنهم لو كانوا على حقّ أو هدى قد أظهره الله وأفلجه(٥) ونصره، ولكنّهم كانوا على باطل، فأكذبه الله تعالى، وأدحضه، فهم

---

(١) تفسير الإمام البغوي، تحقيق: عبد الرّزّاق المهدي، (دار إحياء التارث، ١٤٢٠ه، ط١)، (١/ ٤١١).

(٢) الحروريّة: هم الخوارج، نزلوا مكانا يسمّى حروراء قرب الكوفة؛ فنسبوا إليه، وهم الذين قاتلهم المهاجرون والأنصار في موقعة النّهروان.

(٣) السّبئيّة: هم الرافضة، وهم أتباع ابنِ سبأ اليهودي، وزعموا أن عليًّا رضي الله عنه فيه جزء من الإلهية، وهؤلاء هم الذين أحرق علي بن أبي طالب رضي الله عنه غالبيّتهم بالنّار.

(٤) ألاصوا الأمر: أداروا الأمر، وحوّلوه. انظر: لسان العرب لابن منظور: (٧/ ٨٨).

(٥) أفلج الأمر: نصره، وجعل الغلبّة له. انظر: لسان العرب لابن منظور: (٢/ ٣٤٨).

كما رأيتم كلّما خرج منهم قرن أدحض الله حجّتهم، وأكذب أحدوثتهم، وأهراق دماءهم، وإن كتموه كان قرحا في قلوبهم، وغمًّا عليهم، وإن أظهروه أهراق الله دماءهم.

ذاكم والله دِينُ سوء، فاجتنبوه، فوالله إن اليهودية لبدعة، وإن النصرانية لبدعة، وإن الحروريّة لبدعة، وإن السبئية لبدعة، ما نَزَلَ بهنّ كتاب ولا سنَّهُنَّ نبيٌّ"[1].

فيا سبحان الله، ما أجمل هذا الأثر، وما أصدق معانيه على واقع الخوارج قديما وحديثا، فإنّهم فرّقوا جماعة المسلمين، وخرجوا على ولاتهم وحكامهم، وكفّروهم، وخلعوا بيعتهم، وعقدوا البيعة لأمرائهم ومرشديهم، واخترعوا الجماعات والحزبيّات التي فرّقت الأمة؛ ودعوا إليها، وانخرطوا في الفتن باسم الجهاد؛ والجهاد منهم براء، وأضلّوا المسلمين ولبّسوا عليهم، وتدثّروا بالإسلام للوصول إلى الحكم ولتحقيق أغراض دنيوية دنيئة، وطعنوا في علماء الإسلام الصّادقين ونبزوهم؛ ونفّروا منهم، وتحالفوا مع أعداء الإسلام لتمزيق أقطار المسلمين وتقسيمه.

ومع ذلك كلِّه؛ فإنّه لم يعتبر آخرهم بأولهم، ولو كانوا على الحقّ والهدى؛ لأظهرهم الله تبارك وتعالى ونصرهم، ولكنّه سبحانه وتعالى قطع دابرهم، وكلّما ظهر لهم قرن قطعه الله تعالى، وأهراقَ دِماءهم.

وأخرج الإمام ابن جرير الطّبريّ رحمه الله (٥٣١٠ه) بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما -وذُكر عنده الخوارجُ وما يُلْقَوْنَ عند القرآن-يعني من الخشوع-، فقال: يُؤمِنُون بِمُحكمه، ويهلكون عند متشابهه! وقرأ ابن عباس: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ﴾، الآية[2].

وصدق ابن عبّاس رضي الله عنهما، وهو من هو معرفة بالخوارج وشبهاتهم وصفاتهم، فإنّ الخوارج قديما وحديثا أهل تعلّق بالشّبهات، وأصحاب فهوم خاطئة، وعقول منتكسة، وقلوب مريضة، وهم أبعد النّاس عن العلم بالكتاب والسنّة.

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله (ت:٧٢٨ه): "والخوارج تمسكوا بمتشابهه

(١) تفسير الإمام عبد الرزّاق، تحقيق: محمود عبده، (١/ ٣٨٢)؛وانظر: تفسير ابن جرير الطبري، تحقيق محمد شاكر، (مؤسّسة الرّسالة:١٤٢٠ه، ط١)، (٦/ ١٩٨).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري: (٦/ ١٩٨).

وأعرضوا عن محكمه وعن السنة الثابتة التي تبين مراد الله بكتابه، فخالفوا السنة وإجماع الصّحابة مع ما خالفوه من محكم كتاب الله تعالى، ولهذا أدخلهم كثير من السلف في الذين ﴿ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾، ﴿ الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ﴾"[1].

قال الإمام الآجري رحمه الله (٣٦٠ه): "ومما تتّبع الحرورية من المتشابه قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُون ﴾[المائدة:٤٤]، ويقرؤون معها: ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[الأنعام:١]، فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحقّ قالوا: قد كفر، ومن كفر عدل بربّه فقد أشرك فهؤلاء الأئمّة مشركون، فيخرجون فيفعلون ما رأيت؛ لأنّهم يتأوّلون هذه الآية"[2].

المطلب الخامس والثّلاثون: الكبر والإعراض عن الحقّ:

الكبر والإعراض عن الحقّ صفتان ملازمتان للخوارج في القديم والحديث، والإعراض عن الحقّ سبب من أسباب الزّيغ والهلاك في الدنيا والآخرة، قال شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله: "وكذلك من أعرض عن اتّباع الحقّ الذي يعلمُه تبعا لهواه فإن ذلك يورثه الجهلَ والضلالَ حتى يَعمَى قلبُه عن الحقّ الواضح، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً ﴾"[3].

وقد أخبر النّبي ﷺ أن الخوارج يمرقون من الدين، ثمّ لا يرجعون؛ بسبب الإعراض عن الحقّ، فقال: (يمرقون من الدين مروق السّهم من الرميّة، لا يرجعون حتى يرتدّ على فوقه)[4]، وذلك لشدّة تمسّك الخوارج بالباطل، وإصرارهم عليه.

كما قرّر العلماء أن من أبرز أسباب ضلال الخوارج العناد وعدم التصديق بالحقّ، لا

(١) مجموع الفتاوى: (١٦/ ١٧٣).
(٢) الشريعة للإمام الآجري: (١/ ٣٤١).
(٣) "مجموع الفتاوى": (١٠/ ١٠).
(٤) سبق تخريجه.

الجهل، فقد بلغتهم الأحاديث النّبويّة والآثار السّلفية فضربوا بها عرض الحائط، ولم يصدّقوها، قال شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله (ت:٧٢٨ه): "إن ضلال بني آدم وخطأهم في أصول دينهم وفروعه إذا تأمّلته تجد أكثره من عدم التصديق بالحق؛ لا من التصديق بالباطل"(١).

ومن هنا ضلّ الخوارج قديما وحديثا فإنهم جاؤوا إلى طائفة من النّصوص الشّرعية من الكتاب والسنة فكذّبوا بها، وأعرضوا عنها، وسخروا منها، وضربوا بها عرض الحائط أو أكثر، فشابهوا اليهود في ردّهم لبعض الكتاب، ولو تأمّلت هذا الموضع حقّ التأمّل لَلَاح لك أن أكثر الضلالات التي ركبها الخوارج والجماعات والأحزاب فبسبب العناد لا بسبب الجهل.

المطلب السّادس والثّلاثون: ردّ النّصوص الشّرعية والاعتراض عليها:

الخوارج خصوصا وأهل البدع عموما أصحاب إيرادات مضادّة للنصوص الشرعيّة؛ ويرون أن النبي ﷺ لو قال بخلاف مقالتهم لما اتّبعوه؛ ولما رجعوا عن قولهم إلى قوله، قال شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله (٧٢٨ه): "الخوارج وغالب أهل البدع يرون أن الرسول لو قال بخلاف مقالتهم؛ لما اتّبعوه؛ كما يحكى عن عمرو بن عبيد في حديث الصّادق المصدوق، وإنما يدفعون عن نفوسهم الحجة إما بردّ النقل؛ وإما بتأويل المنقول؛ فيطعنون تارة في الإسناد؛ وتارة في المتن، وإلا فهم ليسوا متبعين ولا مؤتمّين بحقيقة السنّة التي جاء بها الرسول بل ولا بحقيقة القرآن"(٢).

والذي سنّ لهم هذه السنة الذّميمة هو رأسهم ذو الخويصرة فقد وقع في جُرم عظيم وذنب كبير باعتراضه على قسمة النبيّ ﷺ؛ فاستحقّ ذلك الوعيد والزجر والتأنيب.

وقد استهزأ قتلة عبد الله بن خبّاب رضي الله عنه بحديث النّبي ﷺ: (كن عبد الله المقتلول، ولا تكن عبد الله القاتل)، حينما رواه لهم؛ فقالوا: (أنت سمعت هذا من أبيك يحدّثه عن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. فقالوا له: فكن أنت عبد الله المقتول)، فالخوارج في

(١) مجموع الفتاوى: (٢٠/ ١٠٥).

(٢) "مجموع الفتاوى": (١٩/ ٧١).

القديم والحديث معروفون بالاستهتار بأحاديث النبي ﷺ في التحذير من الفتن، فرغم تيقّنهم من صحة الحديث وعدالة نقلته إلا أنهم لم يرفعوا به رأسا، بل استهزؤوا به وسخروا منه.

وفي هذا أن عند أهل البدع عموما وعند الخوارج خصوصا اختلالا في كمال شهادتهم أن محمّدا رسول الله ﷺ، والتي من آكد مقتضياتها تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانتهاء عمّا نهى عنه وزجر، فانظر كيف خالف الخوارج حديث النّبيّ ﷺ، رغم أنهم هم من طلبوا روايته من عبد الله بن خبّاب رضي الله عنه، ثمّ سمعوه بآذانهم، وبعد هذا كله ما أطاعوا النبي ﷺ، وما انزجروا عمّا نهاهم عنه من الدخول في الفتن، ولم يصدّقوه فيما أخبر بأنه ستكون فتنة وسيكون القاعد فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، والساعي في النار.

ولهذا فإن خوارج العصر يردّون كل حديث لا يهوَونه بمسوّغات ضعيفة وواهية، ولعلّ أقرب مثال على ذلك طريقتهم الفاسدة والكاسدة في ردّ الأحاديث النّبويّة المتواترة في تحريم الخروج على ولاة الأمور، ووجوب السمع والطاعة؛ ولزوم الجماعة.

بل إن من العلامات اللائحة الظاهرة لخوارج العصر من أرباب الجماعات والأحزاب السّخرية والاستهزاء بوصايا النّبيّ ﷺ في تحريم الخروج على ولاة الجور، ونبز العاملين بها من أهل الاستقامة بألقاب منفّرة، من مثل قولهم عنهم: هؤلاء جماعة (الزم بيتك)[1]، وجماعة (وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك)[2]، وجماعة (السّمع والطّاعة لوليّ الأمر وأمير المؤمنين)[3]، وغير ذلك من التعييرات والسّخريات التي ورثوها من أسلافهم الخوارج القدماء، وما علم خوارج العصر – قبّحهم الله– أنهم ما يسخرون في حقيقة الأمر إلا من أحاديث النبيّ المصطفى ﷺ، وأنهم إنما يسخرون من الوحي المنزّل من

(١) وهو جزء من حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في المسند: (٦٩٨٧)، وأبو داود في السنن: (٤٢٦١)، والحاكم في المستدرك: (٧٧٥٨)، وصحّحه الشيخ الألباني في الإرواء: (٢٤٥١).

(٢) وهو جزء من حديث صحيح أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: ٣٣- كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدّعاة إلى الكفر، رقم: (١٨٤٧).

(٣) جزء من حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في المسند: (١٧١٤٤)، وسنن أبي داود: ٣٩- كتاب السنّة، باب في لزوم السنّة، رقم: (٤٦٠٧)، وصحّحه الشيخ الألباني في: إرواء الغليل: (٢٤٥٥).

السماء، ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾[النّجم:٣، ٤].

المطلب السّابع والثّلاثون: الخروج على السنّة:

من صفات وانحرافات الخوارج قديما وحديثا خروجهم على السنّة، قال شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله (٧٢٨ه): "ولهم خاصتان مشهورتان فارقوا بهما جماعة المسلمين وأئمتهم: أحدهما- خروجهم عن السنّة، وجعْلُهم ما ليس بسيئة سيئة، أو ما ليس بحسنة حسنة، وهذا هو الذي أظهروه في وجه النّبي ﷺ؛ حيث قال له ذو الخويصرة التميمي: اعدل؛ فإنك لم تعدل..."[1].

كما أن الخوارج جوّزوا على النبي ﷺ الوقوع في الجور والضلال، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٧٢٨ه): "أهل البدع يخالفون السنّة الظّاهرة المعلومة، والخوارج جوّزوا على الرّسول نفسه أن يجور ويضلّ في سنته، ولم يوجبوا طاعته ومتابعته، وإنّما صدّقوه فيما بلغه من القرآن؛ دون ما شرعه من السنّة؛ التي تخالف -بزعمهم- ظاهر القرآن"[2].

المطلب الثّامن والثّلاثون: رفع الشّعارات الزّائفة والدّعاوى الكاذبة:

من ضلالات الخوارج في القديم والحديث رفع الشّعارات الزّائفة والدّعاوى الكاذبة، ولذلك يجب التحذير من الاغترار بشعارات الخوارج الزائفة، ودعاواهم الكاذبة، ودعاياتهم المغرضة، خاصّة في هذا الزمان الذي ظهرت فيه قرونهم، وكثرت فيه أحزابهم وتنظيماتهم.

والخوارج يتعمّدون لبس كلامهم لباس الدين؛ ليتمكّنوا من استمالة الناس واستعطافهم؛ وهذه بدعة سبئيّة يهودية سنّها ابن سبأ اليهودي؛ الذي هيّج الغوغاء وحرّضهم على قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه؛ فقد كان يوصي أصحابه قيقول: "انهضوا فِي هَذَا الأمر فحرّكوه، وابدؤوا بالطعن عَلَى أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف،

(١) "مجموع الفتاوى": (١٩/ ٧١).
(٢) "مجموع الفتاوى": (١٩/ ٧١).

والنهي عن المنكر، تستميلوا النّاس، وادعوهم إلى هَذَا الأمر"[1].

ويدّعي الخوارج وأرباب الأحزاب والجماعات اليوم دعاوى كاذبة كالغيرة على الإسلام، والدفاع عن حياضه، ويرفعون شعاراتٍ براقةً زائفةً، وما أكثر شعاراتهم –لا كثّرها الله–، فمن شعار إقامة الخلافة، إلى تحكيم الشّريعة، إلى شعار الإسلام هو الحلّ، إلى شعار الحريّة والديمقراطيّة، وما هي إلا كلمة حق أريد بها باطل، بل أريد بها أضاليل وأباطيل، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه[2].

وليس هذا مستغربا فالخوارج قديما وحديثا أهل خطابة وبلاغة، فلا تجد خارجيّا لا يحسن الكلام أبدا؛ لذلك حذّر النّبيّ ﷺ من الاغترار بحسن كلامهم، وبريق شعاراتهم، فقال: (يقولون من خير قول البرية، يحسنون القيل ويسيئون الفعل، يَدْعون إلى كتاب الله؛ وليسوا منه في شيء)[3].

فالخوارج أصحاب دعاوى كاذبة، وأفعال قبيحة لا تتوافق مع حسن كلامهم، ولهذا يمارس الخوارج الإرهاب باسم الدين، وينفّذون الاغتيالات والتفجيرات والثّورات والاعتصامات والخروج على الولاة باسم الجهاد في سبيل الله؛ والجهاد منهم ومن جرائمهم براء.

وبسبب هذه الشعارات والدعاوى الكاذبة والزّائفة يقع في الاغترار بالخوارج بعض المسلمين، فيتعاطفون معهم، وقد يعجبون بمسالكم الفاسدة، وما ذلك إلا بسبب الجهل أوّلا، والبعد عن العلماء الرّبّانيين النّاصحين وعدم مشاورتهم ثانيا.

وقد كان أئمّة السّلف يعالجون هؤلاء المتأثّرين بالخوارج من عامّة المسلمين ويتعاهدونهم بالنّصح والرّعاية والتوجيه، ويحذّرونهم من الخوارج، ويبيّنون لهم ضلالهم وانحرافهم عن الصّراط المستقيم، ومفارقتهم لجماعة المسلمين، ويعظونهم بوصف النّبي صلى الله عليه للخوارج بأنّهم كلاب النّار، وأنهم شرّ قتلى، وأنهم يخرج في عِراضهم

(١) "تاريخ ابن جرير الطبري": (٤/ ٣٤١).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: ١٢-كتاب الزكاة، ٤٨- باب التحريض على قتل الخوارج، (رقم:١٠٦٦).

(٣) سبق تخريجه.

الدجّال، وأنّ النبيّ ﷺ حذّر من فتنة الخوارج أكثر من التحذير من فتنة الدجّال، وأنهم أضرّ على المسلمين من اليهود والنّصارى، وأضرّ على المسلمين من أمراء الجَور والظلم، وغير ذلك من الأخبار الصحيحة الثّابتة.

ومن أمثلة ذلك ما حفظته لنا كتب التاريخ من نصائح العلماء كتلك النصيحة الرائعة من الإمام وهب بن منبّه رحمه (ت:١١٠هـ) لرجل تأثّر بمذهب الخوارج[1]، واغترّ بهم، فحذّره الإمام وهب رحمه الله، وبيّن له، وأزال عن عينيه الغشاوة، وأنقذه الله به من النّار، فقال ذلك الرجل المتأثر بالخوارج للإمام وهب بعد إصغائه لكلامه: "أشهدُ أنّي نزلت عن رأي الحروريّة (الخوارج)، وصدّقت ما قلتَ، فلم يلبث هذا الرّجل يسيرا حتى مات"، ولو أنّه مات على رأي الخوارج، لمات ميتة جاهليّة، ولكان مفارقا لجماعة المسلمين، لقوله ﷺ: (من رأى من أميره شيئا يكرهه؛ فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات، إلا مات ميتة جاهلية)[2]، وهذا هو واجب العلماء الصادقين وطلبة العلم العاملين اليوم، وهو التحذير من الخوارج وصيانة عامّة المسلمين من شبهاتهم وأضاليلهم.

المطلب التّاسع والثّلاثون: التّباكي على مآسي المسلمين:

يتلبّس كثير من فرق الخوارج اليوم بلبوس العلماء، ويسوّدون تسويدات في مسائل الشريعة والدين، ويتباكون وينوحون على مظالم المسلمين، التي هم سبب في حصول كثير منها في ربوع العالم الإسلامي، ويرفعون شعار الجهاد –والجهاد منهم براء–، ويظهرون العبادة والخضوع، وما هي إلا صفات الخوارج الأوائل، ورثتها هذه الخلوف الضّالة، ولكلّ قوم وارث.

وقصدهم من ذلك كلّه إنما هو التلبيس على شباب الأمة، وتهييج عواطفهم الجيّاشة بمآسي المسلمين في فلسطين وفي العراق وفي أفغانستان وفي سوريا وفي بورما، وفي غيرها من بلاد المسلمين، فهذه هي سبلهم الماكرة في تجنيد الشباب في صفوف فرقهم الزائغة.

---

(١) اعتنى بنشر هذه النّصيحة الشيخ عبد السّلام بن برجس آل عبد الكريم رحمه الله بعنوان: (مناصحة الإمام وهب بن منبّه لرجل تأثّر بمذهب الخوارج).

(٢) سبق تخريجه.

فالواجب على الشّباب المسلم ألا يخطو خطوة حتى يرجع إلى علماء الإسلام الرّاسخين، فهم أغْيَرُ على دماء المسلمين، وأعرف بشريعة الله ربّ العالمين.

المطلب الأربعون: تنفيذ الاغتيالات السياسية:

وفيه أن الخوارج هم أوّل من أحدثوا بدعة الاغتيال غيلة وغدرا في تاريخ المسلمين، وهو ما يعرف اليوم بالاغتيال السّياسي، فقد اغتال الخوارج الأوائل أمير المؤمنين عثمان بن عفّان رضي الله عنه، واغتالوا عبد الله بن خبّاب رضي الله عنه، واغتالوا أمّ ولده معه، واغتالوا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وخطّطوا لاغتيال عمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، لكنّ الله تبارك وتعالى سلّمهما.

وأما أهل السنة والاستقامة فهم برءاء من هذه الاغتيلات الآثمة، بل الحقّ والصّدق والواقع والتاريخ يشهدون على محاربتهم للتكفير والتفجير والاغتيال والتطرّف والإرهاب، ويشهدون كذلك على دعوتهم إلى لزوم الصّبر والجماعة والسنة، والتحذير من الثورات والفتن وسفك الدماء المعصومة، وانتهاك الأعراض المحرّمة، ولهم في هذا الصّدد جهود مباركة، وأعمال جليلة؛ ستبقى غرّة في جبين الدّعوة إلى يوم الدّين.

وأما خوارج العصر فقد نفّذوا سلسلة من الاغتيالات السياسية والتصفيات الجسدية في حقّ عدد من الرّؤساء والوزراء والعلماء والقضاة والمفتين.

وقد اعترف سيّد قطب وهو أحد رؤوس خوارج العصر في مذكّرة الدّفاع عن نفسه، التي نشرها أنصاره بعد ذلك، وطبعوها، اعترف بالتخطيط لتنفيذ سلسلة من التفجيرات والاغتيالات السياسيّة، فقال ما نصّه بالحرف: "نظراً لصعوبة الحصول على ما يلزم منه – المتفجّرات والقنابل- حتى للتدريب، فقد أخذوا في محاولات لصنع بعض المتفجّرات محلياً، وأنَّ التجارب نجحت، وصنعت بعض القنابل فعلاً، ولكنها في حاجة إلى التحسين، والتجارب مستمرة"[1].

وقال أيضا: "وهذه الأعمال هي الردّ فور وقوع اعتقالات لأعضاء التنظيم بإزالة رؤوس في مقدّمتها رئيس الجمهورية، ورئيس الوزارة، ومدير مكتب المشير، ومدير

(١) "لماذا أعدموني؟": (ص:٣٩).

المخابرات، ومدير البوليس الحربي، ثم نسف لبعض المنشآت التي تشلّ حركة مواصلات القاهرة؛ لضمان عدم تتبع بقية الإخوان فيها، وفي خارجها، كمحطة الكهرباء والكباري (الجسور)، وقد استبعدت فيما بعد نسف الكباري (الجسور) كما سيجيء"[1].

والاغتيال السّياسي الذي ابتدعه الخوارج أشدّ إثما من القتل العمد بغير حقّ؛ وقد قرّر ذلك العلامة أحمد شاكر رحمه الله (ت:١٣٧٧ه) في مقال ماتع بعنوان "الإيمان قيد الفتك"، أصدره على خلفيّة اغتيال النّقراشي باشا رئيس وزراء مصر آنذاك على يد عصابة من خوارج العصر، وهي التنظيم السّرّي الخاص لجماعة الإخوان المسلمين.

ونصّ العلامة أحمد شاكر رحمه الله على أنّ منفّذي ذلك الاغتيال من الخوارج المجرمين، وأنهم خوارج كالخوارج القدماء الذين قتلوا الصحابة رضي الله عنهم، فقال ما نصّه: "ولعلّ الله يهدي بعض هؤلاء الخوارج المجرمين، فيرجعوا إلى دينهم قبل أن لا يكون سبيل إلى الرّجوع...إن الله سبحانه وتعالى توعّد أشدّ الوعيد على قتل النّفس الحرام في غير آية من كتابه... أمّا القتل السّياسي الذي قرأنا جدالا طويلا حوله، فذاك شأنه أعظم، وذلك شيء آخر. القاتل السّياسي يقتل مطمئنّ النّفس، راضي القلب، يعتقد أنّه يفعل خيرا...هم الخوارج كالخوارج القدماء الذين كانوا يقتلون أصحاب رسول الله ﷺ...وإنّما الإثم والخزي على هؤلاء الخوارج القتلة مستحلّي الدّماء، وعلى من يدافع عنهم..."[2].

المطلب الواحد والأربعون: تلاوة القرآن بلا تفهّم:

من ضلالات الخوارج وعلاماتهم تلاوتهم القرآن بلا تفهّم ولا تدبّر، ووجوب التحذير من الاغترار بهم، لأنهم يقرؤون القرآن، ولا يفهمونه، ولا يعملون به، كما قال النّبيّ ﷺ: (يتلون القرآن كتاب الله ليّنا رطبا لا يجاوز تراقيهم)[3].

ومن الآيات التي نزّلها الصّحابة رضي الله عنهم على الخوارج قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا

(١) المرجع السّابق.

(٢) "جمهرة مقالات العلّامة أحمد شاكر رحمه الله": (١/ ٤٧٢).

(٣) سبق تخريجه.

يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ ﴾[البقرة:٢٦].

فقد أخرج الإمام ابن أبي حاتم الرّازي رحمه الله (٣٢٧ه) في تفسيره بسنده عن سعد أبي وقّاص رضي الله عنه قال: ﴿ يضلّ به كثيرا ﴾؛ يعني: الخوارج[1].

والمعنى المستفاد من تنزيل الآية على الخوارج أن أولئك المجرمين ليسوا أهلا للهداية الإلهية الخاصّة، وهي هداية التوفيق والتفضّل، فهم لا يزدادون بالقرآن ومواعظه وأمثاله إلا زيغا وضلالا، ولهذا وصف الله تبارك وتعالى القرآن بأنه ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾[البقرة:٢]، وهم المتمسّكون بالوحيين، وأمّا غير المتقين كالخوارج وأضرابهم فإنّ القرآن لا يزيدهم إلا غواية وعمى، كما قال الله تعالى عن القرآن: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾[فصّلت:٤٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله (ت:٧٢٨ه): "بل من سمع القرآن فكذّب به صار فاسقا وضلَّ، وسعد بن أبي وقاص وغيره أدخلوا في هذه الآية أهل الأهواء كالخوارج، وكان سعد يقول: هم من ﴿ الْفَاسِقِينَ ﴾ ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهَّ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُّ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾، ولم يكن علي وسعد وغيرهما من الصحابة يكفِّرونهم، وسعد أدخلهم في هذه الآية لقوله: ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ ﴾، وهم ضلوا به؛ بسبب تحريفهم الكلم عن مواضعه وتأويله على غير ما أراد الله؛ فتمسكوا بمتشابهه وأعرضوا عن محكمه وعن السنة الثابتة التي تبين مراد الله بكتابه، فخالفوا السنة وإجماع الصّحابة مع ما خالفوه من محكم كتاب الله تعالى، ولهذا أدخلهم كثير من السلف في الذين ﴿ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾، ﴿ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً ﴾"[2].

ولو تأمّلت حال الخوارج قديما وحديثا مع الوحيين لوجدت أنهم حُرِمُوا هداية التّوفيق والتفضّل، فهم لا يزدادون بسماع القرآن والسنّة إلا ضلالا وزيغا وبعدا عن

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: (١/ ٢٠٩).
(٢) مجموع الفتاوى: (١٦/ ١٧٣).

سلوك منهج السّلف الصالح من الصّحابة والتّابعين رضوان الله عليهم أجمعين.

وقد تشبّع سيّد قطب وهو أحد رؤوس خوارج العصر بما لم يعطَ؛ فسوّد شيئا ممّا يزعم أنّه تفسير؛ وأنّه دخول في ظلال القرآن، فأتى في تسويداته بالعجائب والغرائب، ونضحت كلماته بتكفير المجتمعات المسلمة المعاصرة، والحكم عليها بالجاهليّة، والحكم على ديار المسلمين بأنّها ديار كفر، ولم يستثنِ حتّى مكّة والمدينة، ووصف مساجد المسلمين بأنّها معابد الجاهليّة؛ ولم يستثن حتى الحرمين، ودعا إلى اعتزال مجتمعات المسلمين، وهجران مساجدهم، وهكذا في سلسلة من الضلالات والانحرافات؛ التي تدلّ على أنّ هؤلاء المارقين لا يزدادون بالقرآن إلا ضلالا وغواية وعمى، وصدق سعد رضي الله عنه حين قال: ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً ﴾؛ يعني: الخوارج.

فسبحان من جعل القرآن هدى لأقوام، وضلالة لآخرين، قال العلامة ابن القيّم رحمه الله (٧٥١هـ): "قَالَ تَعَالَى ﴿ يضل بِهِ كثيرا وَيهْدِي بِهِ كثيرا وَمَا يضل بِهِ إِلَّا الفَاسِقين ﴾ فأخبر تَعَالَى أن القُرآن سَبَب لضلال هَذَا الصِّنف من النَّاس، وهو هداه الَّذِي هدى بِهِ رَسُوله وعباده المؤمنِينَ، وَهَذَا أخبر سُبحَانَهُ إِنَّه إِنَّمَا يَهْتَدِي بِهِ من اتّبع رضوَان الله، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ، وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾[التوبة:١٢٥]، وَلَا شَيء أعظم فَسَادًا لمحلِّ العلم من صَيرُورَته بِحَيثُ يضلّ بِمَا يهتَدِي بِهِ"[1].

المطلب الثّاني والأربعون: المروق من الدّين:

من علامات الخوارج وصفاتهم أنهم يمرقون من الدين، كما أخبر بذلك النّبيّ ﷺ؛ فقال: (يمرقون من الدين مروق السهم من الرميّة).

وقد اختلف العلماء في تكفير الخوارج؛ فذهب فريق إلى أنهم عصاة مبتدعة ضالّون، وذهب فريق آخر إلى أنهم كفار، يمرقون من الدين؛ لأن النبي ﷺ أخبر بذلك، وأمر

(١) مفتاح دار السعادة: (١/ ١٠٠).

بقتلهم؛ قال شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله: "فإن الأمّة متّفقون على ذمّ الخوارج وتضليلهم، وإنما تنازعوا في تكفيرهم على قولين مشهورين في مذهب مالك، وأحمد، وفي مذهب الشافعي أيضا نزاع في كفرهم"(١).

المطلب الثّالث والأربعون: شرّ الخلق والخليقة:

ذمّ النّبيّ ﷺ الخوارج، ووصفهم بأنهم شرّ خلق الله تبارك وتعالى، وما ذلك إلا لمفارقتهم لجماعة المسلمين، وخروجهم على ولاة الأمور، ولهذا ذمّهم النّبيّ ﷺ بوصفهم بكلاب النار، وقال عنهم: (الخوارج هم كلاب النار)(٢).

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: "الخوارج قوم سوء، لا أعلم في الأرض قوما شرا منهم"(٣)، ولما كان الخوارج في هذه الدركة من الشّرّ والسّوء فإن المسيح الدجّال يخرج في عِرَاضهم؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ عن الخوارج: (كلما خرج قرن قطع، قالها أكثر من عشرين مرة، حتى يخرج في عِراضِهم الدجّال)(٤).

وذهب العلماء إلى أن الخوارج أشرّ على المسلمين من اليهود والنّصارى؛ قال شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله: "أي أنهم شرّ على المسلمين من غيرهم، فإنهم لم يكن أحد شرا على المسلمين منهم؛ لا اليهود ولا النصارى؛ فإنهم كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم؛ لم يوافقهم، مستحلين لدماء المسلمين، وأموالهم، وقتل أولادهم، مكفّرين لهم، وكانوا متديّنين بذلك؛ لعظم جهلهم، وبدعتهم المضلة"(٥).

---

(١) "مجموع الفتاوى": (٢٨/ ٥١٨).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه: ٤٤- أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة آل عمران، رقم: (٣٠٠٠)، والإمام ابن ماجه في سننه: كتاب الإيمان وفضائل الصحابة، ١٢- باب في ذكر الخوارج، رقم: (١٧٣)، وحسّنه الشيخ الألباني في "مشكاة المصابيح": (٣٥٥٤).

(٣) "السنة" للخلال: (١/ ١٤٥).

(٤) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه: كتاب الإيمان وفضائل الصحابة، ١٢- باب في ذكر الخوارج، رقم: (١٧٤)؛ وصححه الشيخ الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها": رقم: (٢٤٥٥).

(٥) "منهاج السنة النبوية": (٥/ ٢٤٨).

المطلب الرّابع والأربعون: يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان:

من صفات الخوارج أنهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان؛ كما أخبر بذلك النبي ﷺ؛ فقال: (يقتلون أهل الإسلام ويدَعون ويتركون عبدة الأوثان)[1].

فالشغل الشاغل للخوارج في القديم والحديث هو قتل المسلمين؛ والخروج على الحكّام؛ واستباحة الدماء والأعراض؛ والكفار منهم في مأمن، بل يقيمون عندهم ويساكنونهم، ويتآمرون معهم على بلاد المسلمين.

وقد ادّعى خوارج العصر أن قتال أهل القبلة أولى من قتال الكفار، لأن المسلمين مرتدّون -بزعمهم-، وأما اليهود والنّصارى فكفّار أصليّون، وأوضح الشّيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله أن الخوارج لا يقاتلون اليهود الغاصبين، وإنما ينشغلون بمقاتلة الحكام؛ فقال: "لكن مجاهدة اليهود المحتلين للأرض المقدسة، والسافكين لدماء المسلمين أوجب من قتال مثل ذاك الحاكم من وجوه كثيرة، لا مجال الآن لبيانها، من أهمها أن جند ذاك الحاكم من إخواننا المسلمين، وقد يكون جمهورهم -أو على الأقل الكثير منهم- عنه غير راضين، فلماذا لا يجاهد هؤلاء الشباب المتحمس اليهود، بدل مجاهدتهم لبعض حكام المسلمين؟! أظن أن سيكون جوابهم عدم الاستطاعة بالمعنى المشروح سابقاً، والجواب هو جوابنا، والواقع يؤكد ذلك؛ بدليل أن خروجهم- مع تعذر إمكانه- لم يثمر شيئاً سوى سفك الدماء سُدى! والمثال - مع الأسف الشديد- لا يزال ماثلاً في الجزائر، فهل من مدَّكر؟!"[2].

وبالجملة فالخوارج كانوا ولا يزالون مصدرا من مصادر الذّعر والقلق لخيار المسلمين من الصّحابة والتابعين رضي الله عنهم، وهذا هو شأنهم وديدنهم في القديم والحديث، فإنهم متى خرجوا نشروا الرعب والذّعر وأرهبوا أهل الإسلام، وأمِن شرَّهم عبدةُ الأوثان، وهو مصداق قول النّبي ﷺ: (يقتلون أهل الإسلام، ويدَعون أهل الأوثان)[3].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) "سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها": (٧/ ١٢٤٣).

(٣) سبق تخريجه.

المطلب الخامس والأربعون: الاختلاف والانشقاق والتناحر:

من علامات الخوارج في القديم والحديث سرعة اختلافهم وانشقاق بعضهم عن بعض وتناحرهم، ولذلك قال راوي قصة اغتيال عبد الله بن خبّاب رضي الله عنه: (فلم أزل فيهم حتى اختلفوا، قال: فكنت فيهم، ثم كرهت أمرهم؛ فخشيت أن يقتلوني)[1].

فالخوارج سرعان ما يختلفون، وينشطرون، ويقتل بعضهم بعضا، وما ذلك إلا لأن البدعة مقرونة بالفرقة، والسنة مقرونة بالجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت:٧٢٨ه) في شرح حديث الافتراق: "ولهذا جاء وصف الفرقة النّاجية بأنها أهل السنّة والجماعة، وهم الجمهور الأكبر والسّواد الأعظم، وأما الفرق الباقية فإنهم أهل الشذوذ والتفرق والبدع والأهواء، ولا تبلغ الفِرقة من هؤلاء قريبا من مبلغ الفِرقة الناجية فضلا عن أن تكون بقدرها، بل قد تكون الفرقة منها في غاية القلة، وشعار هذه الفِرق مفارقةُ الكتاب والسنّة والإجماع"[2].

كما أنّ الذين ينخدعون بالخوارج سرعان ما يكتشفون ضلالهم وانحرافهم بمجرّد مرافقتهم أو الخروج معهم، وهذا مشاهد معلوم في أخبار خوارج العصر وشهادات التّائبين من أفكارهم الضّالة.

ومن انحرافات الخوارج أنهم يهدّدون ويقتلون كلّ من ينوي مفارقتهم من أتباعهم المغرّر بهم، وهذه صفة من صفاتهم التي اشتركوا فيها قديما وحديثا، وقد ذكر كثير من الذين رافقوا خوارج العصر أو تأثّروا بهم أنهم تعرّضوا للتهديد بالقتل أو الفصل من الوظيفة، أو فضحهم بنشر علاقاتهم المحرّمة مع النّساء، أو اتّهامهم بالخيانة والغدر، وغير ذلك من صنوف الإرهاب الذي يسلّطه الخوارج على كلّ من ينوي مفارقتهم والانشقاق عنهم.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مجموع الفتاوى: (٣/ ٣٤٦).

خاتمــة:

في ختام هذا البحث أعتقد أنّ أهمّ نتيجة مستخلصة منه هي الآتي:

الأحزاب والجماعات المعاصرة التي تتجلبب بالإسلام ما هي في حقيقتها إلا امتداد طبيعي ووريث شرعي للخوارج الأوائل الذين كفّروا الصحابة رضي الله عنهم واستحلّوا دماءهم.

وقد اشترك خوارج العصر مع الخوارج الأوائل في أغلب صفاتهم الذّميمة وأشدّها قبحا وجرما، ومنها:

- تكفير المجتمعات المسلمة المعاصرة حكّاما ومحكومين.
- تفريق جماعة المسلمين ومفارقتها.
- الخروج على ولّاة الأمور ونزع يد الطاعة.
- استباحة الدّماء المعصومة.
- الجهل بالدين واختلال منهج الاستدلال.
- التحزّب على غير إمام المسلمين ووليّ أمرهم.

التّوصيات: خرج هذا البحث بجملة من التوصيات منها:

- الاستمرار في تقديم المعالجة الفكرية العقائدية لشبهات خوارج العصر والجماعات والأحزاب المنحرفة.
- توجيه عناية طلبة الدراسات العليا إلى كتابة رسائل جامعية تتناول آراء خوارج العصر بالدراسة النقدية الفاحصة.
- تكثيف المؤتمرات والنّدوات الشّرعيّة التي تهدف إلى نقض وتفنيد شبهات التكفير.
- الحرص على ربط الشباب المسلم بالعلماء الموثوقين قديما وحديثا، وتحذيرهم من الاغترار بالحزبيّين والرويبضات وخوارج العصر.
- تأسيس لجنة شرعية تابعة لجامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية يسند لها مهمة رصد شبهات خوارج العصر ونقضها وتفنيدها.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم: برواية الإمام حفص بن سليمان، عن الإمام عاصم الكوفي رحمهما الله.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ه)، بيروت: المكتب الإسلامي، ط:٢ (١٤٠٥ه- ١٩٨٥م).
- الأسس الأخلاقة للحركة الإسلامية، أبو الأعلى المودودي، ط: (١٤٠٠ه).
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ه)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩ه)، ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- جريدة الرأي العام الكويتية، العدد الصادر بتاريخ: ١١/ ١١/ ٢٠٠١م.
- جريدة الشّرق الأوسط، العدد الصادر بتاريخ: ٠٩ جمادى الأولى ١٤١٧هـ.
- حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، الشيخ بكر أبو زيد، مصر: دار الحرمين للطباعة، ط:١، ١٤٢٦ه.
- دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، أبو مصعب السّوري، دت، دط.
- سراج الملوك، أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي (المتوفى: ٥٢٠ه)، الناشر: من أوائل المطبوعات العربية – مصر.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ه)، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط: ١ (١٤١٥هـ).
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى:

١٤٢٠هـ)، الرياض: دار المعرفة، ط:١ (١٤١٢ه).

- سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء الكتب العربية، دت، دط.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥ه)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، دت، دط.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ ه - ١٩٧٥م.
- سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥ه)، تحقيق: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ ه - ٢٠٠٤ م.
- سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣ه)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط: ٢ (١٤٠٦ه).
- صحيح البخاري أو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه،محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار طوق النجاة، ط: ١ (١٤٢١ه).
- صحيح مسلم أو المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١ه)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، دت، دط.
- صحيح وضعيف سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ه)، الكويت: مؤسسة غراس، ط: ١ (١٤٢٣ه).

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، بيروت: دار المعرفة، ط: (١٣٧٩ه).
- فكر التكفير قديما وحديثا، الشيخ عبد السلان بن سالم السحيمي، دار الإمام أحمد، ط: ١ (١٤٢٦ه).
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط: ١٧ (١٤١٢ه).
- القصة الكاملة لخوارج عصرنا، للشيخ الدكتور إبراهيم بن صالح المحيميد، دار الإمام مسلم: السعودية، ط: ١ (١٤٣٦ه).
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، الرويفعي، الإفريقي (٧١١ه)، بيروت: دار صادر، ط: ٣ (١٤١٤ه).
- لماذا أعدموني، سيد قطب، دت، دط.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥ه)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١ (١٤١١ه).
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١ه)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ومن معه، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط: ١ (١٤٢١ه- ٢٠٠١م).
- المصطلحات الأربعة في القرآن، أبو الأعلى المودودي، ط:٥ (١٣٩١ه).
- معالم في الطريق، سيد قطب، دار الشروق، ط:٦ (١٣٩٩ه).
- النبوات، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ه)، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- نظرية الإسلام السياسية، أبو الأعلى المودودي، دار الفكر، ط: (١٣٨٧ه).